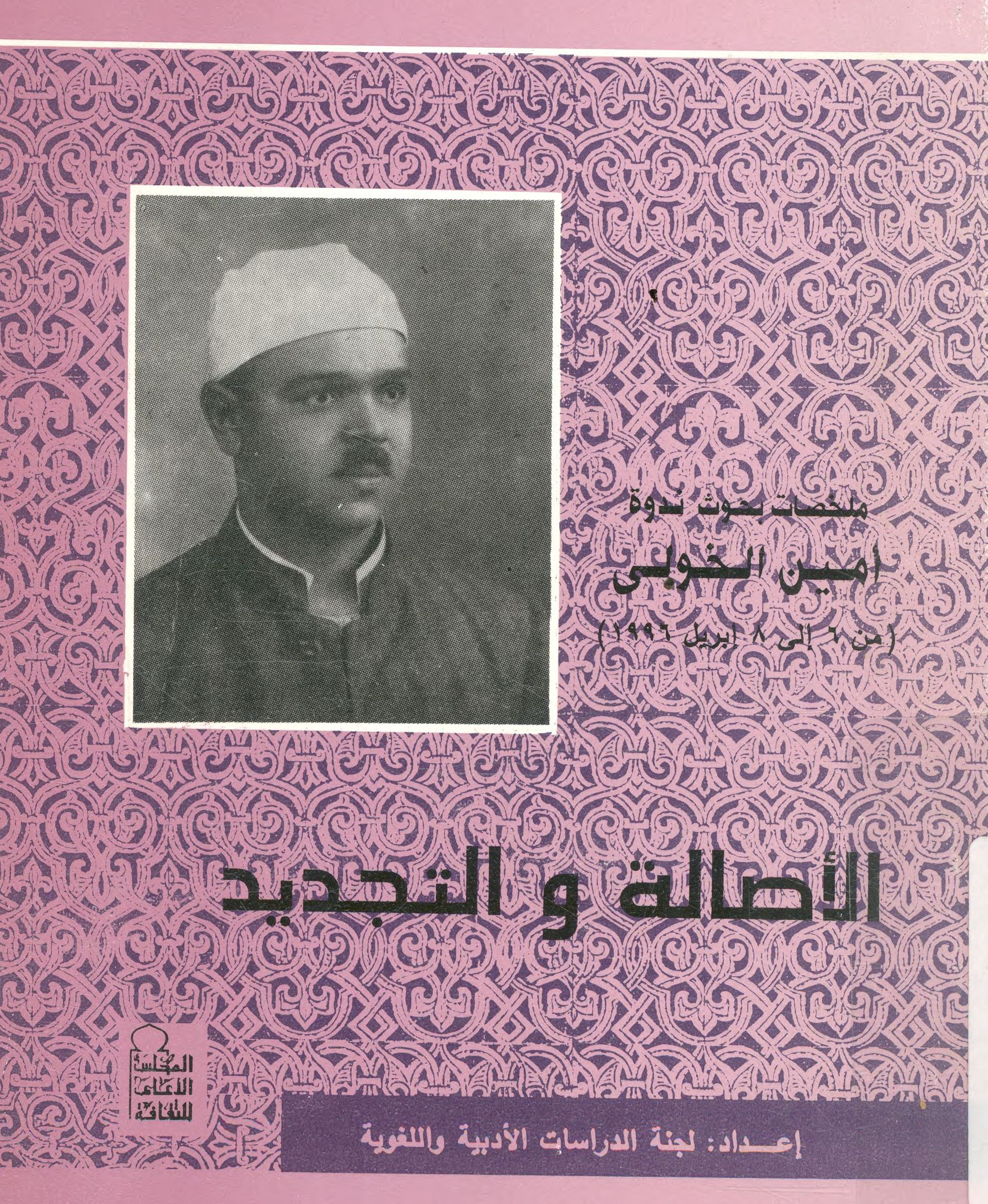
المجلس الأعلى للثقافة



ملخصات بحوث ندوة

أمين الخولى

(من ٦ إلى ٨ إبريل ١٩٩٦)

الأصالة و التجديد

إعـداد: لجنة الدراسات الأدبية واللغوية

المجلس الأعلى للثقافة

ملخصات بحوث ندوة

أمين الخولى

(من ٦ إلى ٨ إبريل ١٩٩٦)

الأصالة و التجديد

إعـداد: لجنة الدراسات الأدبية واللغوية



١٩٩٦

الغلاف والإخراج الفنى : سعيد المسيرى



أمين الخولي

(١٨٩٥ ـ ١٩٦٦)

● أعضاء لجنة الدراسات الأدبية واللغوية:
أ. د الطاهر أحمد مكى مقرر اللجنة

* أعضاء بأشخاصهم

أ.د إبراهيم عبدالرحمن
أ.د أحمد درويش
أ.د أحمد كمال زكى
أ.د السعيد بدوى
أ.د ألفت الروبى
أ.د حسين نصار
أ.د صلاح فضل
أ.د عبداللطيف عبدالحليم
أ.د عثمان موافى
أ.د على الحديدى
أ.د غالى شكرى
أ.د ليلى عنان
أ.د محمد زغلول سلام
أ.د محمد زكى العشماوى
أ.د محمد عونى عبدالرءوف
أ.د محمود على مكى
أ.د مصطفى مندور

● أعضاء بمناصبهم

أ. إبراهيم الترزى	أمين عام مجمع اللغة العربية
أ.د عبدالمنعم تليمه	رئيس قسم اللغة العربية بكلية الأداب - جامعة القاهرة
أ.د محمد حمدى إبراهيم	عميد كلية الاداب جامعة القاهرة
أ.د محمود فهمى حجازى	رئيس مجلس إدارة دار الكتب والوثائق القومية

تقديم

هذه الندوة

أ.د. الطاهر أحمد مكى *

مرت على بدء مسيرة النهضة فى مصر الحديثة قرابة قرن ونصف القرن من الزمان، لم يكن إيقاع المسيرة عبرها واحدا، أسرع أحيانا وتمهل أخرى، نجحت زمنا وأخفقت آونة، ولكن المسيرة لم تتوقف أبدا، فالأمم ذات الحضارة العريقة، الضاربة فى جذور التاريخ، لا تموت أبدا.

بلغت هذه اليقظة أوجها مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادى، وبدايات القرن العشرين، وأثمرت فى كل مجالات الحياة المصرية، السياسية، والاجتماعية والثقافية، قاد حركة التنوير الفكرى والعلمى خلالها أدباء عظام، ومثقفون كبار، وعلماء متميزون، وفنانون لامعون،

* مقرر لجنة الدراسات الأدبية واللغوية

من مختلف الاتجاهات، اتفقوا واختلفوا، تحاوروا وتصارعوا، ولكنهم فى النهاية بنوا نهضة عظيمة، فى العلم والفكر والأدب والموسيقا والغناء والفنون التشكيلية، وتركوا بصماتهم واضحة، تتجلى عيانا فيما نملكه بين أيدينا من تراثهم.

ومن بين هؤلاء الذين أسهموا فى حركة التنوير هذه الأستاذ الشيخ أمين الخولى، والذى نحاول أن نلقى الضوء من خلال هذه الندوة على جهوده المختلفة، والمتنوعة، وكأى إنسان عظيم لابد أن يختلف الرأى فيه وحوله، ولكن الجميع يتفقون على أنه كان أحد أعلامها.

ولد الشيخ أمين الخولى بقرية شوشاى من مركز أشمون بمحافظة المنوفية عام ١٨٩٥، وتعلم فى كتاب القرية، ومنه إلى الأزهر الشريف، ثم استقر به المقام فى مدرسة القضاء الشرعى، وكانت تتبع وزارة الحقانية (العدل) إذ ذاك، وتخرج فيها عام ١٩٢٠ . وعقب تخرجه عمل بهذه المدرسة مباشرة، ورأس تحرير مجلتها فى عامى ١٩٢٢ و ١٩٢٣ وفى هذا العام الأخير اختير إماما للمفوضية المصرية فى روما، ثم انتقل من هذه إلى المفوضية المصرية فى برلين، وحين عاد بعد ذلك فى عام ١٩٢٧، وجد مدرسة القضاء الشرعى قد أُلغيت، واستعيض عنها بتخصص القضاء الشرعى فى كلية الشريعة فى الأزهر، وهو دراسة عليا، تلى المرحلة الجامعية، فعمل مدرساً به. وفى العام التالى، ١٩٢٨، عين مدرسا فى كلية الآداب بالجامعة المصرية (القاهرة الآن) ثم استاذا مساعدا، ثم أستاذا، ثم رئيس قسم اللغة العربية واللغات الشرقية، ثم وكيلا لكلية الآداب، وبقى فى هذه الكلية حتى سنة ١٩٥٣ حين نقل مستشارا فنيا لدار الكتب، ثم مديرا عاما لإدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم، وفى سنة ١٩٥٥ بلغ سن التقاعد. وعين عضوا بمجمع اللغة العربية عام ١٩٦١ .

لم يقتصر نشاط الشيخ الخولى على التدريس فى كلية الآداب وحدها، فقد انتدب لتدريس الأخلاق والفلسفة وتاريخ الملل والنحل بالأزهر، فى قسم التخصص القديم: شعبة الأخلاق والتاريخ، وشعبة الوعظ فى التخصص الجديد، وفى كلية أصول الدين، ورأس قسم اللغة العربية بعض الوقت فى معهد الدراسات العليا للمعلمين، وكتابه «فن القول» ثمرة محاضرات ألقاها فى هذا المعهد، وحاضر فى معهد الدراسات العليا التابع لجامعة الدول العربية سنة ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨ ، وفى معهد الدراسات الإسلامية.

وفى سنة ١٩٤٣ كون تلاميذه مدرسة أدبية باسم «الأمناء» مدرسة الفن والحياة، تعمل لتحقيق غايات فنية نظرية وعملية، ولتحقيق أهدافها أصدروا سنة ١٩٥٦ مجلة الأدب، ورأس تحريرها الشيخ أمين الخولى نفسه، واستمرت فى الصدور حتى بعد وفاته، ثم توقفت.

يغطى نشاط الشيخ الخولى جوانب أدبية وثقافية متنوعة، فله مقالات وبحوث فى اللغة والأدب والبلاغة والنحو والتفسير، فى مجلات مختلفة، منها: مجلة كلية الآداب فى جامعة القاهرة، والسياسية الاسبوعية، والرسالة، والعربى والمقتطف، وغيرها، كما شارك فى التعليق تصحيحا لبعض المواد التى وردت فى دائرة المعارف الإسلامية، إبان ترجمتها إلى اللغة العربية. وكتب للمسرح منذ أن كان طالبا، فألف مسرحية الراهب المتنكر، ومثلت فى دار الأوبرا عام ١٩١٧ .

ومن مؤلفاته: كناش فى الفلسفة وتاريخها، وتاريخ الملل والنحل، وصلة الإسلام بإصلاح المسيحية (بالإيطالية)، ومشكلات حياتنا

اللغوية، ومناهج تجديد فى النحو والبلاغة والتفسير والأدب، وفن الأدب المصرى: فكرة ومنهج، وفن القول، ورأى فى أبى العلاء، والجندية والسلم: واقع ومثال، وصلات بين النبل والفولجا (بالألمانية وترجم إلى الروسية)، ومالك بن أنس: ترجمة محررة فى ثلاثة أجزاء، ومالك تجارب حياة فى سلسلة أعلام العرب، والمجددون فى الإسلام (الجزء الأول)،

وله مؤلفات أخرى فى التفسير الأدبى، والأخلاق، والدراسة الأدبية، وكانت له مشاركة واسعة فى لجان المجمع اللغوى ونشاطاته المختلفة، من اقترحات وبحوث، نشرها فى مجلة المجمع وألقاها فى مؤتمراته.

لكى يظل أعلام التنوير هؤلاء معالم هادية، ومثلا لنا وقدوة، نتمثلهم دون أن ننسى ونأخذ عنهم دون أن ندير ظهورنا لإيقاع الحياة من حولنا، أو نتجاهل تقدم الإنسانية إلى أبعد مما رآوا هم أو تخيلوا، حرصت لجنة الدراسات الأدبية واللغوية بالمجلس الأعلى للثقافة، على إلقاء الضوء على سيرة هؤلاء الرجال العظام وفكرهم، تذكرا وتذكيرا، كلما واتت الفرصة، ونلتقى فى هذه الندوة لنتدارس واحدا منهم، كان له دوره فى حياته، وأثره بعد رحيله: الأستاذ الشيخ أمين الخولى.

واللجنة إذ تأمل أن تؤدى الغاية التى هدفت إليها تود أن تشكر كل من عاون وأسهم فى إنجاحها: أ. د. جابر عصفور الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة، على ما بعث فى المجلس بأجمعه من حيوية ونشاط، وعلى دعمه الذى لا يتوقف للجنة الدراسات الأدبية واللغوية، مساهما بفكره ورأيه، مذللا أية صعوبات تعترض طريق التنفيذ، وللزملاء الكرام أعضاء اللجنة، والمشاركين فى البحوث منهم ومن أسرة الشيخ

الخولى، الشكر على ما بذلوا من جهد وما قدموا من رأى فى التخطيط والإعداد، وإدارة الندوة، كما يستحق الشكر أيضا العاملون فى المجلس الأعلى للثقافة بعامة، وأمينة اللجنة بخاصة السيدة عائشة أحمد عبدالرحمن على جهدها وصبرها وحسن تنفيذها لما يعهد به إليها.

أمين الخولى المجمعى

أ. إبـراهيم الترزى*

يُعد الشيخ الجليل «أمين الخولى» فى طليعة المصلحين المجددين فى العلم، والأدب، والفن. وقد كان معنيا أشد العناية بوضع المنهج لكل ما يأخذ فيه من علم، وأدب، وفن؛ حتى يستقيم على شريعة من أمر إصلاحه وتجديده.

ولقد كان الشيخ فى بحوثه المجمعية التى عالج فيها بعض القضايا أو المشكلات اللغوية والنحوية.

ويقوم منهجه فيها على عرض القضية، أو المشكلة، منبها إلى خطرها وأهميتها، مستقصياً كل جوانبها ممعنا فى كل أقطارها وأبعادها،

* أمين عام مجمع اللغة والعربية

عامداً بعد ذلك إلى التحليل والتعليل والتفسير، منتهياً من ذلك كله إلى اقتراح العلاج لما يطبُّ له من مشكلات لغوية أو نحوية.

وإذا كانت القضية، أو المشكلة، قد عولجت من قبل طوى الزمان والمكان عائداً إلى حيث نشأت؛ فيعرض ما قاله العلماء فيها عرض الحاذق البصير، متتبعا ذلك على امتداد العصور، حتى يصل إلى عصرنا الحاضر.

فحين عرض لقضية الفصحى والعامية - وهى ما سأركز حديثى بشأنها لأهميتها البالغة - فى بحث ضافٍ وافٍ ألقاه فى أحد المؤتمرات السنوية للمجمع، أخذ يوضح خطر هذه القضية، وآثارها المباشرة، وغير المباشرة، فى الأمة العربية، علمياً، وثقافياً، واجتماعيا، وسيا سياً عارضاً جهود المجمع فى علاجها، وما قاله المجمعيون فيها من آراء؛ حيث وقف بعضهم موقف الرافض للعامية التى يراها وباءً وبلاءً يجب الحذر منه، ووقف بعض آخر من المجمعيين موقف المترفق بالعامية، المرحب بما فيها من كلمات فِصاح تتيح التقريب بينها وبين الفصحى.

ثم عرض الشيخ لكتاب صدر منذ أكثر من مئة عام يقف من العامية موقفاً أبعد من التقريب بينها وبين الفصحى؛ فهو يدعو إلى توحيدهما، ذلك هو كتاب «التحفة الوفائية فى اللغة العامية المصرية»، لمؤلفه، «السيد وفا أفندى محمد» الذى كان أميناً لـ«الكتبخانة الخديوية» (دار الكتب المصرية)، وهذا الكتاب مازال قابعاً فى خزانة الدار حتى الآن، على الرغم من إلحاح الشيخ على إصداره من جديد، ليكون موضع بحث ودراسة، لا للأخذ بما يدعو إليه؛ لأن التوحيديين الفصحى والعامية يستعصى على عربيتنا فى مختلف عصورها

وبيئاتها؛ فالجدير بنا أن نعمد إلى التقريب بينهما، لا إلى توحيدهما.

ولم يتوقف الشيخ الجليل «أمين الخولى» بمشكلة الفصحى والعامية عند عصرنا الحاضر؛ فقد مضى بها ـ على ما يقتضيه منهجه ـ عائداً إلى حيث نشأت فى عصور قديمة، فعالجها علماء أعلام، منهم: الفراء، والكسائى، والمازنى، والمفضل الضبى، وأبو هلال العسكرى، والزبيدى، والحريرى، وابن الجوزى، والسيوطى. وتوقف الشيخ قليلاً لينوه بكتاب «المنجد» لمؤلف مصرى فى القرن الرابع الهجرى اسمه «كراع النمل»، جاء فى مقدمته:

«هذا كتاب ألفته فيما اجتمعت عليه الخاصة والعامة من الألفاظ».

كما توقف الشيخ قليلاً منوهاً كذلك ببعض المؤلفات الأخرى التى مضت فى هذا الاتجاه، مثل كتاب «رفع الإصْر عن كلام أهل مصر»، لمؤلف مصرى آخر هو الشيخ «يوسف المغربى» الذى عاش إلى أوائل القرن الحادى عشر الهجرى.

ثم اختتم الشيخ الجليل حديثه إلى المجمعيين داعيا كلا منهم، بل كل عالم لغوى فى عالمنا العربى، إلى العناية بتسجيل ما فى عامية بلده من كلمات فصاح؛ ليضمها معجم يسمى «لسان العرب اليوم» وهو العنوان الذى اختاره الشيخ لهذا البحث القيم الفريد. وقد أسهم الشيخ الجليل بجهود علمية مشهودة فى لجان المجمع، ومجلسه الأسبوعى، ومؤتمره السنوى، وكان عضواً فى لجنة معجم ألفاظ القرآن الكريم، ولجنة أصول اللغة، ولجنة الأدب، ولجنة القانون والاقتصاد، ولجنة المكتبة. وقدم إلى لجنة أصول اللغة بحوثاً نحوية منها: المركب المزجى، وتذكير العدد وتأنيثه، والأسماء الثلاث قديماً وحديثاً (أى

الأسـمـاء المركـبـة من اسم الشـخص، واسم أبيـه، واسم جـده) وحكم إعرابها.

ودعـا الشيخ الجليل إلى أن يهـيمن المجـمع على الأنشطة اللغـوية العامـة، وبخاصة الإشراف على المذيعين، حتى لا يـحيد أحد عن جادة العربية: لغة ذكر الله الحكيم.

الدعوة إلى دراسة الأدب المصرى

أ. د. حسين نصار

فى سنة ١٩٤٣م. (١٣٦٢هـ) أصدر الأستاذ أمين الخولى كتابا دون فيه مجموعة من المحاضرات التى كان يلقيها على طلبة قسم اللغة العربية وآدابها فى كلية الآداب بجامعة القاهرة، تحت عنوان «فى الأدب المصرى» فكان دعوة مدوية إلى العدول عن تقسيم دراسة الأدب العربى على عصور سياسية إلى تقسيمها على الأقاليم التى ضمتها الخلافة الإسلامية أو ما يسمى بإقليمية الأدب، وإلى دراسة كل إقليم على حدة، وبخاصة مصر.

وقد عرّف البيئة التى جعلها قاعدة درسه بأنها «البيئة الطبيعية حينما تهيأت البيئة المتميزة المستقلة، التى تكون بهذا أهلا لأن تحتضن شعبا بعينه، وتبرز خصائصه المادية والمعنوية.

فقد رأى أن لكل بيئة متفردة خصائصها التى تنفرد بها، وتوجه الحياة الأدبية فيها، وتؤثر فى سيرها. وباختلاف هذه الخصائص المادية والمعنوية تختلف حياة الإقليم الأدبية عن غيره، ويختلف نظام سيرها من نشأة وتدرج وتفرع.

وأطل من هذا التصور على البيئة المصرية، فرأى أنها ظفرت بعوامل التميز المادى الكافى. فصحّ أن تكون لها مؤثراتها التى تدفع نازلها إلى التفرد، ومن ثم وجب على الدارس أن يبحث عن هذه الآثار، واثقا أنه سيعثر عليها.

وأحس بعدة دواع تدفع إلى إفراد مصر، بدراسة أدبية، فتلك الدراسة وفاء بواجب علمى، ووفاء بواجب اجتماعى حيوى، وخطة عملية مثلى، ومصلحة عملية لقيامها على المشاهدة والتجريب.

وشغل أكثر الكتاب بالدفاع عن هذه الدعوة، وتجلية أبعادها، ومناقشة المآخذ والمحاذير التى قال بها خصومها. وكان المأخذ الذى أطال الوقوف عنده فكرة الوحدة الأدبية بين الأقطار الإسلامية التى تكلمت باللغة العربية. فرأى أنها فكرة تقوم على أصول اعتقادية دينية، وأعلن أن النظرة العلمية الصحيحة، وحقائق تكوُّن الأمة الإسلامية، وظواهر حياتها وتفكيرها وسلوكها، والسنن الطبيعية لا تؤيدها. وضرب أمثلة متعددة على ما كان بين الشعوب الإسلامية من اختلافات. ولذلك كانت النتيجة التى خلص إليها أن هذه الوحدة المدّعاة لا وجود لها، ولا وجه لادعائها.

كذلك ناقش الذين شكوا فى وجود أدب مصرى عربى يستحق الدراسة، بأن رأيهم ـ لو صح ـ لاستلزم إقامة دراسة لهذا «اللا أدب

المصرى، لتتبين حقيقته وأسبابه والعمل على تجنبها، فالمهم عنده فى الدراسة الوصول إلى الحقيقة، والباحث - فى نظره - لا يبحث عن شيء يريده أو يفضله، وإنما يبحث عن شيء يصححه ويصدقه.

وانتقل من ذلك إلى وضع منهج عده مثاليا للدراسة الأدبية عامة، والدراسة الإقليمية خاصة.

ففرض على الباحث الأدبى أن يجمع كل النصوص التى تمت إلى العصر أو الأديب أو الظاهرة الفنية التى ينوى دراستها، وأن يخضعها لتحقيق علمى سليم لتصحيحها، قبل أن يخضعها للدرس.

أما فى الأقليمية الأدبية فرأى أنها تقتضى دراسة الحياة فى مهد العربية الأول، أى الجزيرة العربية، منذ أقدم عصورها إلى أحدثها، والصلات بينها وبين إقليم الدراسة وتطورها.

وتقتضى دراسة إقليم الأدب العربى المنوى دراسته منذ أقدم عصوره، مهما كانت الأطوار التى مر بها، والتغيرات التى تقلب فيها.

ومن الطبيعى أن هذه الدراسات ليست فى مستطاع دارسو اللغة العربية، وإنما يقوم بها المتخصصون فى الآثار والتاريخ والجغرافيا والاجتماع وما إليها. ثم يجب على دارس العربية أن يطلع عليها، ويعتمد على نتائجها، لتقوّم بحوثه.

وقد كان لهذه الدعوة آثارها البعيدة المدى فى الدراسات الجامعية فى جميع الأقطار العربية.

أمين الخولى والفنون

خواطر وذكريات عن أمين الخولى الفنان

أ. د. سمحه أمين الخولى

فى هذه السنوات الأخيرة من رحلة الحياة تتخذ الأشياء صورا أصفى وأعمق، وعندما يعود المرء للوراء ليلقى نظرة هادئة شاملة على ما تحقق عبر السنوات فى ضوء هذه النظرة الشاملة يتجلى لى جانب من شخصية والدى - أمين الخولى - هو أمين الخولى الفنان، الذى لا يعرفه الكثيرون... ويبدو لى أن هذا الجانب الفنان من شخصيته كان له تأثير عميق على توجيه حياتى نحو فن الموسيقى، الذى لم يكن يعرف قدره ولا مداه فى تلك الفترة إلا القلائل من أصحاب الرؤية المستشرقة للمستقبل.

والحديث عن والدى أمين الخولى مشوب بمحاذير عدة أولها وأهمها القول السائد «كل فتاة بأبيها معجبة»، ولكنى آمل أن يكون لى فى حكمة

الشيخوخة وخبرة الحياة ما يحمينى من الإنسياق وراء هذا الإعجاب. فإذا ما حدْت عن الجادة أحيانا (وهو ما سأحاول جاهدة تجنبه)، فقد يكون لى بعض العذر لأننى مدينة لوالدى بتوجيهى نحو الموسيقى، فناً وعلماً، ولعله بهذا يكون قد أسهم فى تقدم بلاده، بشكل غير مباشر فى مجال آخر، غير مجالات بحثه ودراساته التى يتناولها المتخصصون. ولذلك سأقصر حديثى عن هذا الجانب الفنان من شخصيته من زوايا محددة، تتصل بالمسرح والفن التشكيلى والموسيقى والغناء، والحدائق والزهور والطبيعة والرحلات.

ولكن الأمر الذى طالما حيرنى، عندما شببت وأدركت مدى حساسية للفنون هو: من أين أتته هذه الحساسية المرهفة وليس فى نشأته الأولى ولا أسرته ما ينبئ بشىء منها؟ هذه الحساسية الواضحة للفنون قد أضافت بعدا إنسانيا ـ خاصا كان نادرا بين أقرانه ومعاصريه، فقد عهدته ينفعل بالشعر انفعالا عميقا، وتدفع عيناه تأثرا لعمل أدبى قرأه، وفى المسرح كان يبدو فى قمة توهجه معايشة وتمتعا بفنون المسرح، وكان يشعر بالجمال فى الفنون التشكيلية ويسعى له، وأكثر ما بهرنى منه أنه ـ وهو الشيخ المعمم ـ كان يتجاوب مع أعمال موسيقيةجديدة تماما وبعيدة كل البعد عن إطار خبراته الموسيقية، ولكنه كان قادرا على تلقى رسالتها الروحية، بما لا يتسير أحيانا للمتخصصين. وبهذه الشخصية المتكاملة النيرة المتعددة الذكاء، أقبل على توجيه أسرته وأبنائه نحو الفنون ولا شك أن عمله فى المفوضيات المصرية فى روما وبرلين فى أوائل العشرينات قد أذكى حسه الفنى وفتح أمامه آفاقا جديدة، أحسن استثمارها وتوظيفها فى توجيهنا منذ الصغر، وأظنه فى هذا التوجيه لأبنائه كان يستشرف آفاق المستقبل ويدرك أن نهضة

مـصـر التى طالما حلم بهـا وعـمل من أجلهـا ـ لا تتـحـقق إلا بالعلم والإنسانيات معا.

وكـان أثناء وعـمله فى آوروبا منفـتـحـا على علوم الغـرب شـديد الاحترام والإعـجاب بمنجزاتـها، ولكنه كان كذلك منفتحا على فنونه على اتساعها تشكيلا ومسرحا وموسيقى وأوبرا. ولعل هذا هو ما دفعه منذ صباى المبكر أن يوفر لى التعليم الموسيقى الخاص (العزف على البيـانو) ثم مالبث أن امـتد ذلك إلى أخوى (أسامة وأكثم) اللذان كانا يدرسان عزف الفيولينه (الكمان) عند نفس الأستاذ الإيطالى الذى كان يحضر لدارنا صباح كل يوم جمعه، وكان والدى يتابع تقدمنا مـعه باهتمام وفى كل رحلاته كان أكثر ما يحمله معه لى نوتات موسيقية من النمسا وأسبانيا وإيطاليا، كان أغلبها فوق مستوى هوايتى فى تلك السنوات المبكرة... ولعل بداية دخولى لعالم الموسيقى الساحر تستحق أن تروى هنا، فقد كنت فى الثامنه من عمرى فى السنوات الأولى من الدراسة الابتدائية، حين حضر يوما للمنزل ومعه حمالون يحملون شيئا ضخما لامعا أسود اللون، اتضح أنه بيانو، وناداني باسم التدليل وقال لى هذا البيانولك... وكانت اكبر وأسعد مفاجأة فى طفولتى، فقد استجاب بحسم وبصيرة لما ذكرته تقارير المدرسة من أن لدى أستعدادا موسيقيا، أراد أن ينميه لكى تصبح ابنته عازفة بيانو قديرة مثل العازفة المصرية «عايدة علم» التى سمعها تعزف فى أوروبا فأثارت حماسه تلك العازفة المصرية التى تعزف موسيقى الغرب الفنية فى بلاد الغرب.(١)

---

(١) كان حماسه للهواية الموسيقية فقط ولكن عندما آن الاوان، كان فى البداية مناهضا بشدة للإحتراف.

وقد كان ذلك اليوم نقطة تحول بعيدة المدى فى حياتى، (وما أكثر الأطفال المصريين الذين يتمتعون بمواهب موسيقية رائعة، يتم وأدها فى الأسرة أو فى المدرسة؟ وقد انتهت بى هذه البداية البسيطة التى وضع هذا الوالد الفنان أسسها إلى حيث أسهم فى بناء بلادى وثقافتها ـ ولو بقدر متواضع ـ فى الموسيقى: تعليما وأداءاً ونشرا للتذوق وبحثا علميا وتاريخيا.

ونعود لما اكتسبه أمين الخولى من اهتمام بالفنون أثناء عمله فى أوروبا وبعده، فقد تفتحت عيناى فى الطفولة المبكرة فى دارنا على مستنسخات رخامية صغيرة لبعض من أشهر أعمال النحت العالمى، كانت تؤنس طفولتى (وأنا البنت الوحيدة وسط ثلاثة من الأبناء). وكان أول كتاب قرأته عن التصور وكبار الفنانين العالميين من إهدائه لى حين كنت فى المدرسة الابتدائية. وفى سنوات عمله الأخيرة كان قد تولى إدارة الثقافة العامة فى وزارة التربية والتعليم وكان الفنان الكبير حامد سعيد ممن يتبع عملهم إداريا لتلك الإدارة، فعاد والدى يوما للبيت وهو متهلل وسعيد لأنه، التقى بهذا الفنان المفكر الكبير حامد سعيد، دون سابق معرفة وائتلفت أفكارهما بسهولة مذهلة، فقد كانا يتفقان فى فهمهما واحترامهما للشخصية المصرية، وبدأت بينهما صداقة حميمة امتدت إلىّ، وكانت زياراتنا «للمنزل المتحف» الذى يقطنه حامد سعيد فى المرج من أوقاتنا المثمرة الجميلة معا.

أما المسرح فهو حبه الأكبر، وهو الحب الذى جعله يضرب عرض الحائط بتقاليد مدرسة القضاء الشرعى (وزيها) وتقاليد أسرته المتدينة ليزور مسارح القاهرة متفرجا متحمسا ثم تحول بعد قليل لمؤلف مسرحى قدمت له مسرحيته «الراهب المتنكر» على مسرح الأوبرا لأول

مرة مساء ١٦ / ١٢ / ١٩١٧ وقدمتها فرقة عكاشة، وهى كما وصفها مؤلفها: «عربية تاريخية اجتماعية»، وقعت حوادثها فى الزهراء وقرطبة على عهد الخليفة الناصريين سنة ٣٤٧ ، سنة ٣٥٠ هجرية.

والمسرحية التى كتبها أمين الخولى وهو فى العشرينات من عمره تتحدث عن لقاء الراهب جربرت بابنة عمه مارى التى ربما اختطفت وسماها عرب أندلس (طروب) وكان هذا الراهب فى معية ملك ناڤارا الذى أطاحت المنازعات الداخلية بعرشه - أما طروب فكانت شبه مخطوبه للقائد سعيد بن المنذر قائد جيوش عبدالرحمن الناصر، وتتوسط طروب لابن عمها لدى القائد لييسر مهمته التى تتوقف عليها ترقيته فى سلك الكهنوت، وهى مهمة دراسة علوم العرب، فيقبل سعيد بالسماحة المعروفة عن عرب الأندلس ويساعد الراهب على التنكر تيسيرا لتعلمه فى قرطبة.

وينجح الراهب فى مهمته ويعود لدياره لينصّب باسم البابا سلڤستر، وفى ذلك الوقت يكون سعيد وطروب قد وقعا ضحية مؤامرة دنيئة اتهمتهما بالتآمر على حياة الناصر، وفى النهاية تتكشف المؤامرة التى حاكها الجناه الحقيقيون، ويتمتع البطلان بالخاتمة السعيدة بينما يعاقب الأشرار.

ولعل أطرف تناقض أحاط بهذه المسرحية أن جده الشيخ الأزهرى الكبير، والذى كان يقيم فى كنفه فى القاهرة منذ وفد إليها فى طفولته، كان هذا الجد قد نما لعلمه أن حفيده أمين من رواد المسارح فاستشاط غضبا وأنذره بالويل والفشل قائلا أدينى أهه (وهو يمسك بلحيته) أبقى تعالى... على قبرى إن كنت حتفلح!!

وكم كنت أتمنى أن تتحول هذه المسرحية لأوبرا تجسد سماحة الإسلام وروعة الأندلس، ولكن المؤلف الذى كان قد اقتنع بها وعزم على تلحينها وهو فناننا الكبير الراحل جمال عبدالرحيم [١] لم يمهله القدر ليقوم بهذا العمل، ولعل من أبنائه وتلاميذه المؤلفين الشبان من يمكن أن يقوم بهذا العمل الفنى الكبير.

ومرت سنوات طويلة كان فيها أمين الخولى مستغرقاً فى دراساته للبلاغة وعلم النفس والنقد الأدبى والأدب المصرى وكتابة التراجم «المحررة» وتحقيق كتب التراث عن التجديد فى الإسلام، ثم فى تقديم أحاديثه الإذاعية المرموقة من هدى القرآن وأقول مضت السنوات ومشاغل العمل العلمى فى شتى جوانبه بأمين الخولى بعيدا عن المسرح، ولكنه ظل محبا للمسرح حريصا على متابعة عروضه وفنانيه بتعاطف ولكن بنظره ناقده فاحصة فى نفس الوقت، وكان من أسعد تجاربى زياراتى لمشاهدة المسرحيات معه.

أما الموسيقى فكان لها عنده شأن كبير، لم يكن متوقعاً ممن نشأ فى مثل بيئته الدينية المحافظة، وما أجمل ماروى لنا عن تجاربه فى الاستمتاع بغناء سلامة حجازى وهو يجلجل بصوته القوى الجهير فى المسرح فى قصيدته الشهيرة «ان كنت فى الجيش أدعى صاحب العلم»، وحافظ على صفاء صوته وقوته، حتى بعد إصابته بالشلل النصفى، حين كان يصعد لخشبة المسرح متحاملا ومتكئا على عصا... وكان يهتم بأداء المطربة ملك التى أعجبه فيها رخامة صوتها وتمثل فيها قيان العرب ممن قرأ عنهم، فى قوة الصوت وحلاوته.

---

(١) كان المرحوم عبدالمنعم الصاوى متحمسا لفكرة الأوبرا وتم إرسال النص فى الهند لصلاح عبدالصبور لصياغتها للفنان.

وفى مجال مختلف تماما كان يعلمنى، وبشكل غير مباشر. كيف يتلى القرآن بصوت خاشع ونطق عربى بين وتفهم عميق لمعانى الكلمات، وأصبحت أجد فى تقليد تلاوته الموحية البليغة رضاء نفسيا كبيرا. ومن أحب المقرئين إليه كان الشيخ محمد رفعت، والذى كان ينتظر مواعيد تلاوته فى الإذاعة باهتمام بالغ وينصت إليها معجبا ليس بجمال الصوت ولكن بالخشوع الحقيقى والتفهم الكامل الذى كان ينعكس على اختياره البارع لمواضع وأساليب الوقوف بين الآيات الكريمة.

وكان للشيخ أبو العلا محمد عنده مكانة خاصة لعلها مستمدة من رصانة القصائد العربية التى كان يتغنى بها، وكان لأم كلثوم كذلك عنده منزلة خاصة فى أغانى الأربعينات والخمسينات التى بلغت فيها أوج قدراتها الصوتية. ومنه تعلمت قيمة الفنون الشعبية والغناء الشعبى، فكان يهتم بفنانيه ويسامرهم ويستضيفهم كلما سنحت الفرصة، سواء فى قريتنا أو فى العاصمة، وكنا نشعر بروابط المودة التى تربطه بهم رغم فوارق العلم والثقافة.

وعلى ذكر القرية فقد أسدى لنا أمين الخولى صنيعا حقيقيا حيث كان يصحبنا فى سنوات الحرب للقرية لنقضى فيها أجازاتنا الصيفية، وهناك اقتربنا من منابعنا وتعلمنا الكثير منه عن الريف وأهله وعاداته وعن الطبيعة والأرض والسماء والفلك.. وبالمناسبة فقد كان المثل الأعلى الذى وضعه لى أن أتقن كل ما تتقنه الفتاة المصرية فى الريف والمدينة، وكل ما تتقنه الفتاة الأوروبية؟!! وهذا هو ما شجعنى على فنون الطهى والخبز الريفية، وفى الوقت نفسه فقد أتاح هو لى دراسة اللغة الفرنسية وأدبها، دراسة خاصة طوال مرحلة التعليم الثانوى، وهو

الذى شجع هوايتى لقراءة الأدب الإنجليزى، وهو الذى بصرنى بمواطن الجمال فى الصور الشعرية حين كنت أسأله عن ابن المعتز وصوره الشعرية التى كانت تستهوينى حينذاك، ومن مكتبته وبفضله عرفت جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة من شعراء المهجر وأبو القاسم الشابى، وأما الشعراء المصريون فقد كان متفتحا لكل الاتجاهات، بل كان مناصرا للشعر الحديث، على غير عادة جيله، وأتيحت لى أخيرا فرصة لقاء صلاح عبدالصبور وهو من ألمع تلاميذه المبدعين، وكان لى شرف مشاركة جمال عبدالرحيم فى اختيار قصيدته «الملك لك» ليلحنها فى عمل كبير للأركسترا والكورال بعنوان الصحوة وكان جمال عبدالرحيم يستعين بأمين الخولى فى مناقشة بناء القصيدة معه فقد كان يريد أن تحقق فيها توازنا موسيقيا بين قسمها الأول الذى ينتهى بتجربة الموت.

أما قسمها الثانى فيقود لاكتشاف القلم، كتبت به أحرفا شاعرة وينتهى إلى أبيات و«أفراح يا فتنتى بالحياة وبالملك، الملك لك».

ووفق جمال عبدالرحيم، بعد مناقشته مع أمين الخولى، للحل البنائى الذى أرضاه وحقق التوازن المنشود فقام بتلحين القسم الثانى من هذه القصيدة الرائعة مرتين، كل منهما بأنغام مختلفة، وعندما انتهى من كتابة «الصحوة» كان أمين الخولى قد لبنى نداء ربه فى ٩ / ٣ / ١٩٦٦ ، ولذلك أهداها مؤلفها إلى «روح أمين الخولى» فكان إهداء موفقا له مغزاه البعيد.

وقبل أن أختتم هذه الخواطر والذكريات عن أمين الخولى، الفنان أشير إلى حبه الأصيل للطبيعة والزهور والنباتات فقد كان مولعا بالحدائق وكان يشارك بنفسه فى تنسيق حديقة الدار فى مصر الجديدة

ويجلس القرفصاء بجانب الجنايني ليعاونه في تنسيق أروقتها وممراتها بألوان مختلفة من الحصى أشبه بالفسيفساء، ويشير عليه بتطعيم بعض الأشجار أو تقليمها وزراعة الزهور والرياحين.

ولعل أهم مظاهر حبه للطبيعة وحساسيته الفنية تلك التى تجلت فى كتاباته لنا أثناء رحلاته الصيفية السنوية لبلدان شتى، حيث كان يزور تركيا والمجر ورومانيا بحثا في مكتباتها عن المخطوطات، وتعرفنا على مسلميها وعلمائها ومستشرقيها. وكان يقضى بعض إجازاته فى ربوع النمسا بين جبالها، أو فى مدن إيطاليا التاريخية التى كان يصطحبنى فيها أحيانا للبندقية وروما ليحدثنى ويعلمنى بعض ما اكتسبه بخبراته الواسعة عن معالمها التاريخية وآثارها المعمارية الكبرى. ولا أنسى البطاقات البريدية والخطابات التى كان يرسلها لكل منا، ويحكى فيها مشاهداته وانطباعاته عند زيارة الآثار الجليلة ومنها بطاقة وصف لى فيها مسجد آيا صوفيا والمسجد «الأزرق» باسطنبول وصفا جعلنى أكاد أتمثل نفسى فى ربوعهما، وعندما أتيحت لى الفرصة بعد ذلك لزيارة اسطنبول، كانت بالنسبة لى تجربة مألوفة محببة بفضل ما كتبه عن انطباعاته عند زيارته لها، فقد كان يأخذ كل شيء فى حياته مأخذ الجد، حتى لو كان بطبيعته ترفيها مثل الرحلات التى جعل منها فرصا للتأمل والتعلم وتقبل الخبرات الغنية العميقة له (ولأبنائه عن طريق مراسلاته لهم)، ولم تكن رسائل رحلاته تخلو من روح الفكاهة التى كان معروفا بها.

ولا أعتقد أنه من المبالغة فى شيء أن نعتبر أمين الخولى نموذجا مشرقا للإنسان المصرى الذى خرج من الريف ليتفتح على الحياة فى كل اتجاهاتها بذكاء متوقد وقدرات عقلية راسخة ومواهب فنية مكنته

من التلقى المرهف للفنون وبذلك صاغ من قدراته ومواهبه وخبراته ودراساته شخصية مصرية فريدة، نحن بحاجة لأن تتكرر كثيرا فى سماء الثقافة المصرية رسوخا فى التراث وأصالة فى المنهج العلمى ورحابه فى الأستاذية وحساسية فنية واسعة عمقت إنسانيته وتسامت بها.

قراءة نقدية
لفن القول

أ.د. صلاح فضل

تقدم هذه القراءة النقدية «فن القول» للأستاذ أمين الخولى باعتباره من أهم المشروعات التى لم تحقق نتائجها فى حياتنا الفكرية والثقافية حتى اليوم، وهى إن كانت معاصرة لمحاولات الأساتذة سلامة موسى والشايب والزيات وجمعة فى تحديث البلاغة وجعلها عصرية إلا أنها تمتاز عنها بالعرض النقدى المعمق لأصول البلاغة القديمة وتصنيف مدارسها واتجاهاتها وتحديد المعالم التى ينبغى تغييرها فى مباحثها واقتراح خارطة جديدة لقضاياها وتأصل مفاهيم التقدم والترقى فى دراساتها والإشارة الواضحة إلى مصادر التأثير العصرى الفاعلة فى توجيه اتجاهاتنا الجديدة، على أساس أن «الصلة المرجوة بهذه المصادر تكون بمثابة تمثل للنواحى المحدثة التى اتجهت إليها الدراسات اللغوية والأدبية والفنية بصفة عامة، والشعور بأن أنماط الحياة الإنسانية

وأساليبها المتشابهة المشتركة تحوجنا إلى مثل ذلك في لغتنا وآدابنا ويلاحظ الباحث أن الأستاذ الخولي قد استخدم كلا من المنهجين الوصفي والتاريخي، وأنه تميز بقدر كبير من الصفاء المنهجي والرؤية الواضحة، وأنه وإن كان قد اعتمد على بعض الكتب المدرسية المحدودة في تمثله للتجديد البلاغي الغربي فقد استطاع بفضل جهازه المعرفي الوثيق وقدرته الإبداعية أن ينشيء في الثقافة العربية مدرسة موازية للمدارس العالمية ومكافئة لمستواها، كما لاحظ الباحث نقد الاستاذ الخولي للبلاغة القديمة لجزئيتها واقتصارها على دراسة أحوال الجملة أو ما في حكمها دون أن ترقى لدراسة النصوص بكاملها، وإن كان لم يلتفت إلى أهمية تحكيم المنهج العلمي التجريبي في دراسة الظواهر الأدبية، ومن ثم فقد ارتضى تسمية مشروعه «بفن القول» داعيا إلى إقامته على أساس الذوق السليم وهذا يختلف الباحث معه، موضحا إيثاره لمصطلحات علم الأسلوب والبلاغة الجديدة، وإن كان يشيد بإصرار الاستاذ الخولي على تنمية اللاهوت من دراسة الأدب وإخضاعه لمنطق الفن الحديث.

الشيخ أمين الخولى
نموذج من معاركه مع العقاد

أ.د. عبداللطيف عبدالحليم
أبو همام

الرأى الفرد أمارة جمود، ولا يكون ذلك إلا فى الفترات الخابيه التى يركن فيها الناس إلى الاستنامة الذميمة، وإلى الحياة الفكرية المنطفئة، لأن الفكر الحى والمتوهج يخرجهم عما ألفوه وما لم يحمدوه، وهو توسط وتشابه يخرج الناس من إطار الحياة الإنسانية الراقية.

الرضا الأشكل بالسخط الكظيم، والأمن المشاكه للخوف، والسلامة الملوفة سمات الفترات الكابية بحثا عن أرب رخيص، تتقدم فيها معارك اليد والسلاح مداراة لهذا العجز والخداع، وتنفيسا عن الرأى المقهور.

تبرز «الأنا» المحمودة فى فترات الوعى واليقظة حيث تنفى خبث التوسط، وتطفر الرجولة الفكرية، مؤسسة قاعدة الخلاف الفكرى الذى

يصادم فكرا آخر، يصارعه، وتنجلي المعركة لا عن غبار يعمى الأعين بل عن وهج وشرر، وربما يكون ضراوة في التناول والأداء، بيد أنها ضراوة الفرسان الذين يأرنون إلى السباق، كما يأرن الجواد الكريم.

والحياة الأدبية إذا أريد لها أن تزدهر فلا محيص عن العودة إلى المعركة، كالبنية الحية حين تحقن «بالمصل» الذى يزيدها حياة، وينفى خبثها، أما التزكية التى تنثر النظر إلى ما تجلبه لصاحبها من أثر غير أدبى فهى داء قاتل نشكو عقابليه الآن لأن الشعار المعلن أو المستور هو:

وغدوت فى خلف يزكى بعضهم

بعضها، ليدفع معور عن معور.

هذه المعارك كانت سمة الجيل الماضى الذى يمثله كوكبة من الفرسان الكبار: العقاد، طه حسين، أمين الخولى، محمد مندور، الرافعى، زكى مبارك وإخوان هذا الطراز.

من أهم هذه المعارك معركة الشيخ أمين الخولى مع العقاد، والتى بدأت قبل ذلك مع الدكتوره عائشة عبدالرحمن حين علقت على كتاب العقاد «المرأة فى القرآن الكريم» وأنكرت عليه قوله : إن رأيه - العقاد - فى المرأة هو رأى الخالق، مرتئية أن «الرأى» لا ينسب إلى الخالق، ورد العقاد - مرتين - جوابا عن سؤال القارئ، واستشهد بآيات القرآن الكريم فى صحة النسبة.

ثم أصدر الشيخ أمين الخولى كتابه «مالك: تجارب حياة» وفى مقدمته أشار إلى مناهج التراجم، ونقد طريقة العقاد فى التفرقة بين «العبقريات» «لبعض الشخصيات» وبين «فلان فى الميزان» لشخصيات أخرى، كما علق على صوره مشفوعة بطبعة الهلال لعبقرية الإمام

على، حيث صوره فارسا شاكى السلاح، ورأى الشيخ أمين أن عليا راجلا خير منه فارسا، واستشهد بحديث من الإمتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى.

وإجابة لسؤال القراء رد العقاد فى يوميات الأخبار مسوغا هذه التفرقة فى تراجمه، وأنه منهج يحاول رسم الصورة، وأنه لا تعجزه الترجمة التاريخية التى تتحرى التاريخ وحساب السنين، إلا أنه منهج لا يشبع نهم العقاد فى إعجابه بالبطولة ولا طريقته فى رسم الشخصيات الإسلامية وغيرها.

وتعرض لطبعات صدرت عن عبقرية الإمام على ليس عليها صورة، مرتئيا أن الإمام فارسا أيضا بقدر ما هو راجل، وأردف ذلك بتوهين الحديث الذ ى استند إليه الشيخ أمين، وعرض كذلك لطريقته فى التراجم منتقداً تحليله وتمحيصه التاريخى، وكذب الحديث الذى أورده الشيخ أمين الخاص بالسفارج المهداة إلى معاوية تكذيبا تاريخيا بحساب الأيام والسنين.

ويرد الشيخ أمين الخولى ردودا ضارية أيضا لا يناسبها هذا المقام ولا يناسبه أيضا مارد به العقاد حيث يكتب ولا ينطق فى مشهد كهذا، ونحن وقد عاصرنا هذه الفترة الناهضة، نتكلف هذا الخلق، لأن مثل هذه الضراوة نراها موضوعية جدا، وأنها نافية، لهذا الرضا الذميم الذى هو الخيم السائد فى حياتنا الأدبية الآن، لكنها القيود الاجتماعية فى مثل هذه المشاهد التى نحن فيها الآن.

ويرد الشيخ أمين على ما كتبه العقاد فى الأخبار وفى مجلة الأدب التى طعن فيها علم العقاد ومعارفه؛ لأنها مأخوذة من الصحف ـ الكتب ـ ولم تؤخذ عن الشيوخ كما هو الزمن القديم.

ثم يموت العقاد فتؤبنه تأبينا كريما الدكتوره عائشة فى أهرام ١٤ / ١ / ١٩٦٤ ، ولكن الشيخ أمين يصدر عددا من مجلة الأدب فيه نقل لما كتبه الرافعى فى «على السفود».

وأرانا بعد هذه السنوات نترجم - من وجهة نظرى على الأقل - على هذه الخصوبة الفكرية، وتلك الحيوية الرائعة، وذلك الخلاف العظيم بين مفكرى الجيل الماضى، ونأسى على ما آل إليه حالنا الآن.

التجديد الدينى
باحتكاك الأديان

أ. د. غالى شكرى

بين ١٦ و ٢٠ سبتمبر ١٩٣٥ انعقد فى بروكسل مؤتمر للأديان وتاريخها. وقد دعى الأزهر إلى هذا المؤتمر فأوفد صاحبا الفضيلة مصطفى عبدالرازق وأمين الخولى. ولم تكن هذه الفترة فى مصر أو فى غيرها من أرجاء المعمورة من الفترات العاصفة بالتعصب الدينى ولكنها إحدى الفترات الهادئة فى تاريخ البشرية الناضجة فى تاريخ الأديان وفيها ازدهرت العلوم الدينية المقارنة تعلم السلام عن المسلمين وعلم اللاهوت عند المسيحيين وعرفت المرحلة سكونا واضحاً للإثارة الدينية وما تجلبه من زوابع. ولم يكن للأزهر بميراثه الوطنى خارج هذا السكون فشارك فى هذا المؤتمر الذى يقترب من آفاق العلم، وهى الآفاق التى عززتها المعرفة الحديثة فى الثلث الأول من القرن العشرين.

ونحن نعرف أنه كان المؤتمر السادس، ولكننا لا نفهم إختيار بروكسل مكاناً له إلا إذا كان للدول الأوروبية أنصبة زمنية للأحداث الكبرى خاصة وأننا مانزال بين الحربين العالميتين وهما حربان سياسيتان بعيدتان عن الأديان، فقد كانتا بين دول مسيحية المنشأ، ولكى الحربين كانتا سياسيتان ولأسباب اقتصادية، فليس وارداً القول بأن احتكاك الأديان كان واحداً من الأسباب.

وقد شاء الأستاذ أمين الخولى أن يكتب ورقة لهذا المؤتمر عن موضوع شديد الجدة مثير للتفكير الا وهو صلة الإسلام بالتجديد فى المسيحية، والمقصود بالتجديد هو المذهب البروتستانتى الذى أسسه مارتن لوثر وأمده بالكثير كالفن. وقد كتب مقدمة لهذا البحث الطريف شيخ الأزهر حينذاك الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى. وهو تقديم له مغزاه الأثير فقد كان بين أمانى الإمام الأكبر أن يسجل اسمه بين العقلاء المستنيرين فشد ذلك من أزره وكتب نقداً نافعاً للكاتب وقرائه فأشاد بالبحث وصاحبه ثم التفت إلى النواقص التى رآها فقال أن المؤلف احتفل كثيراً بالعناصر الأساسية فى التجديد المسيحى ولم يلتفت إلى عنصر العقل بما يستحق من احتفال كأداة معرفية قادرة على الفحص والتدقيق والفهم وفرز الخطأ من الصواب والخرافة من المعرفة. كذلك لم يلتفت المؤلف إلى المسيحية ذاتها بالعودة إلى أصولها وتبين ما فيها من عناصر التجديد ومن عناصر لا علاقة لها بالأوشاب التى علقت بالمسيحية على مر العصور وخاصة عصور التخلف والظلام. ولاشك أنها ملاحظات ثاقبه تنم عن تفكير عميق وسماحة مضيئة بالمعانى البعيدة عن التعصب الذميم.

وهو الاتجاه الذى بلوره أمين الخولى فى معظم أعماله، ولكنه فى ورقة بحثه التى نشرتها أولاً مجلة كلية الآداب ثم انتزعها لنشرها فى كتاب مستقل أراد أن يظهر أمام الأوروبيين كمصدر من مصادر التنوير كما كان يوما ابن رشد إذ تمكن بالحوار مع الفلسفات المعاصرة له أن يكشف عن وجه آخر للإسلام يستطيع أن ينقذ الشعوب غير الإسلامية من الظلام. هكذا كان حوار الخولى مع مؤتمر بروكسل عام ١٩٣٥ ذا وجهين:

● الوجه الدينى الصرف فهنا نقطة اللقاء الرئيسية بين الأديان، وهى نقطة الأخلاق والقضاء والقدر والإيمان بالمجهول. فى هذه النقطة تلتقى الأديان فى الله الواحد والثواب والعقاب فى اليوم الآخر.

● الوجه الدنيوى المتأثر سلبا وإيجابا بالزمان والمكان فهو موجز لتاريخ البشر المؤمنين بدين ما وأحوالهم هى التى تسبغ على الأديان لونها.

ويحدث غالبا فى تاريخ الأديان أن نفترق وأن تلتقى فتؤثر وتتأثر ببعضها بعضاً، فالجانب التاريخى من الأديان هو الجانب الذى يفصح عن العوامل القادرة على تغيير الطرف الآخر.

وبين الإسلام والمسيحية عند نقطة التلاقى والاختراق نوعان من التأثير والتأثر هما:

النوع المادى والنوع المعنوى.

أما النوع الأول فتختص به الحروب فى الشرق والغرب والتجارة هنا وهناك، وما رافق هذه الحروب وتلك التجارة من صدامات إيجابية وأخرى سلبية، ومن تلك الصدامات الإيجابية ما يعرف فى التاريخ

بالتجدد والتغيير. وقد عرفت المسيحية تأثيراً إسلامياً واضحاً فانشق أحد مذاهبها بقيادة الألماني لوثر الذى ابتدع البروتستانتية التى رفضت الرهبنه وسر الاعتراف والشفاعة وتقديس الصور والمنحوتات ورفض السلطة الكنيسة.

أما المؤثرات المعنوية فقد كانت وسيلتها الدعاية المباشرة كالخطابة والكتابة بين المسئولين هنا وهناك فى موضوعات الحرب والسلم وغير المباشرة كالتجارة والمنشورات والهمسات وما شابه ذلك.

الشيخ أمين الخولى
الفقيه النبيه
رجل والرجال قليل

أ. د. مجاهد توفيق الجندى

توطئة :

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ورضى الله عن صحابة رسول الله وعن التابعين وتابع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ورضى الله عن مشايخنا ووالدينا والحاضرين وجميع المسلمين آمين يا رب العالمين.

وبعد

فهذا هو الشيخ أمين الخولى علم الاعلام وأستاذ والاستاذين رحمه الله برحمته الواسعة وأسكنه فراديس الجنان.

مولده ونشأته:

ولد رحمه الله - فى أول مايو سنة ١٨٩٥ بقرية شوشاى المعروفة باسم «الشيه»[1] من قرى مركز «أشمون» محافظة المنوفية.

وكان والده الشيخ إبراهيم قد دخل الأزهر وحصل قدرا من المعرفة أهّله للحصول على شهادة الإعفاء من القرعة العسكرية [2] وهو قدر من العلوم يتفق اليوم ومستوى التعليم الأولى فى الأزهر الشريف وانتهى أمر الوالد إلى الحقل يعمل مع الجد الفلاح القح، القوى البنية المفتول العضلات الذى عمر حتى نيف على المائة.

وكان الوالد الشيخ «إبراهيم» متين التكوين، ربْعَة، يحب الفروسية، ويمارس لعب العصا (التحطيب، وضرب النار - برغم الزى الأزهرى الذى أخذ نفسه به - وهوايته كانت جمع الأسلحة النارية والعصى الثمينة، يمشى فى القرية كانه فارس شمم وجرأة وعناد وإباء.

وكان سخيا خيرا يسعى لقضاء حوائج الناس، مما أكسبه حبهم وألف قلوبهم من حوله وقد حرص الوالد على أن يعلم ابنه البكر أمين ويكسبه الصدق والجرأة والصراحة، معنيا بتربيته الممارسة العملية لشئون

---

(١) والنسب إليها : «الشيهى» راجع صفحة من سجل جرايات الأزهر سنة ١٩١٨م بها اسم جد الشيخ أمين الخولى وهو الشيخ على عامر الشيهى ملحق رقم ١ بهذا البحث.

(٢) راجع سجل حصر وتعداد المجاورين بالجامع الأحمدى (بطنطا) سنة ١٣٠٢ و ١٣٠٣ شوالية المنشور ضمن وثائق كتابنا الجامع الأحمدى شقيق الجامع الأزهر طبع سنة ١٩٩٠م ص ٧٧٦ جاء فى الصفحة قبل الأخيرة من السجل المذكور: قيد قرارات المعافاة من القرعة العسكرية بمجلس إمتحان مديرية الغربية الذى صار انعقاده بتاريخ ٢٥ن سنة ١٣٠٥ هـ وكان هذا المجلس يتكون من شيخ الجامع الأحمدى ومدير الغربية وأحد الضباط العسكريين وجماعة من المشايخ وقد نجح فى هذا المجلس عدد ٨٦ طالب أعفوا من القرعة العسكرية مسجلة اسماؤهم (الباحث).

الحياة .. يقوم على زراعة الحقل ويتصل بالمسئولين فى القرية والمركز لقضاء الحوائج، ويشترك فى فض المنازعات والخصومات وإصلاح ذات البين.

وبعد أن اختار الله والده إلى جواره سنة ١٩١٩م كان الشيخ أمين ينهض بأعباء القرية، بينما هو يستعد للحصول على إجازة القضاء الشرعى.

أما والدته - فاطمة - التى كانت تمتاز بحدة الذكاء واللباقة وقوة الشخصية، فهى ابنة الشيخ على عامر الخولى المشهور بالشيهى، نسبة إلى القرية، على عادة أهل الأزهر الذين ينتسبون إلى قراهم، وتعريفا لهم، وتعصبا لأقاليمهم.

هذا وقد أتم الشيخ «على عامر» الدراسة فى الأزهر، مع تخصص فى القراءات، وعمل إماما و خطيبا فى جامع السلطان شاه بعابدين، مع تدريسة القراءات بالتعيين فى جامع المؤيد شيخ المحمودى وكان سكنه فى «زقاق المسك» بالمغربلين.. ومن ثم نشأت ابنته فى جو القاهرة، حتى زفت إلى ابن أخيه فى ريف شوشاى وعاشت عمرها هناك.

وانتقل «أمين الخولى» إلى القاهرة فى السابعة من عمره تقريبا، ليعيش فى كنف جده... وفى رعاية خاله الشيخ (عامر على عامر) الذى حصل على «شهادة الأهلية» من الأزهر، وعمل اماما وخطيبا بمسجد الأمير (إينال اليوسفى) بالخيمية.

وكان شوق الخال إلى الأبناء شديدا، لأنه لم يعقب ولدا، ففاض حنانا على ابن أخته.

ويكتب الأستاذ أمين الخولى عن صباه الباكر فيقول:

حوالى سنة ١٩٠٢م حمل من الريف، وألقى به فى حجر خالته، تحت رعاية جده لأمه، وعم أبيه فى الوقت نفسه وهو شيخ أزهرى، يعيش هو وابنه - خال الغلام - وأصهار لهم كذلك، خدمة للعلم بالأزهر الشريف.. ودفعوا به لصغره إلى مدرسة مدنية، كانت مرحلة بين التعليم الأولى والتعليم الابتدائى، ولكن جده الشيخ لا يكتفى بما كان فى مثل هذه المدارس أو المكاتب من حفظ القرآن فأخذه بحفظ لوح كبير [1] كبير كل يوم حتى يوم الجمعة، وحفظ القرآن بداية وعيادة، فحفظه متنى تجويد القرآن (التحفة والجزرية) وجود له قراءة حفص فى بضعة أشهر، يقرئه كل يوم ربعين وأخذه فى زمن التجويد بحفظ المتـــــون[2]، فى التوحيد والفقه والنحو: كمتن السنوسية والكنز والأجرومية والألفية وبدأ يحضره دروساً فى التوحيد وغيره.. كما علمه مبادىء العلوم والحساب[3].

(١) كانت عادة الناس قديما وإلى وقت قريب يحفظون أطفالهم القرآن الكريم على لوح من الخشب أو الصفيح حيث ينقل الطفل من المصحف القدر المطلوب حفظه على اللوح المذكور، ويكون الحفظ من اللوح ثم يسمع ويعيد ما حفظه على المؤدب أو العريف، ثم يمسح من اللوح ما حفظ ثم يعيد كتابة لوح جديد وهكذا دواليك، وهى طريقة حفظ الشيخ أمين للقرآن.

(٢) المتون : وهى مختصرات للعلوم أو مقدمات لها، لجأ بعض العلماء لتأليفها خشية أن يهجر الطلاب العلم بعد أن كثرت الشروح والمطولات والحواشى خاصة للصغار والمبتدئين، وهى نثرية وشعرية: كمتن أبى شجاع فى الفقه الشافعى والقدورى فى الفقه الحنفى ومتن العشماوية فى الفقه المالكى... وألفية ابن مالك فى النحو والصرف وألفيه العراقى فى الحديث، والجوهر المكنون فى الثلاثة فنون (المعانى والبيان والبديع).

(٣) راجع مجلة الأدب ديسمبر سنة ١٩٦٤م.

وفى سنة ١٩٠٧ م التحق بمدرسة (القيسونى) وهى من المدارس (الكتاتيب) المشتركة التى كان يتعلم بها بنات الأسر العثمانية التى تمثل الطبقة الأرستقراطية..

وقد التقى فى هذه المدرسة بالشيخ (محمد الطوخى) ناظرها القوى الشخصية .. له مواقف شجاعة كانت ذات تأثير كبير فى نفس تلميذه النجيب، والذى عرف فى تلميذه صفاته الطيبة خاصة الصدق والشجاعة ثم درس بعد ذلك بمدرسة «خواند بركة» عندما إنتقل سكنه من درب الأغوات إلى حارة الماردانى.

زهد الشيخ أمين الخولى فى دخول الأزهر؟

وهو الأزهرى شحما ولحما!!

يرى بعض الباحثين أن الشيخ أمين كان زاهدا فى دخول الأزهر رغم ما كان لديه من المؤهلات فقد حفظ القرآن الكريم سنة ١٩٠٥م وكانت لديه الفرصة لتجويد القرآن وحفظ المتون قبل التحاقة بمدرسة القيسونى وحضر على جده أوائل دروس الأزهر.. فان هذا الجهد كله من الجد والاجتهاد كان تأهيلا لدخول هذا الصغير الأزهر حتى يصبح صورة من جده ومثلا يرتضيه.

لكن الفتى كان زاهدا فى الأزهر زهدا كبيرا .. لا لأن الزى الأزهرى لم يكن محببا إليه - حيث كان يحضر فى المدرسة بالزى المدنى (أفندى) - ولا لأن طلاب الأزهر كانوا يحضرون دروسهم

جالسين على الحصر بينما يجلس طلاب المدارس على مقاعد خشبية .. ولا لأنه كان مختلطا (بالمجاورين) من أبناء قريته ويرى من عاداتهم وأحوالهم المعيشية الصعبة، فينفر أشد النفور، وإن كان مضطرا إلى اصطحابهم تخفيفا من أعباء الدراسة إذ كان جده لا يفتأ يختبره فى القرآن الكريم وحفظ المتون.

فاذا كان يوم الجمعة خرج معهم لزيارة المشايخ (الأولياء)، ويجوبون القاهرة على الأقدام فى غير طائل، ولا لأنه كان يرى من حياة المدنيين ما يزيده رغبة فى المظاهر التى يراها بقصور العثمانيين فى منطقته التى نشأ فيها زادت رغبة الشيخ أمين فى الالتحاق بالمدارس المدنية ليصبح مديرا... وفى سبيل هذه الرغبة لجأ إلى شيخ كان يسكن بيت خالته وفى نفس الوقت هو شقيق زميله وهو الشيخ «محمد السكرى» لجأ إليه أمين يستعين به ليلتحق بمدرسة الحسينية .. وتحققت رغبته بعد أن أدى امتحانا يسيرا..

لكن جده أصر وهدده بأن (من ترك القرآن فلن يفتح الله عليه). ولم يقنعه بما فى قسم الحفاظ بمدرسة (الحسينية) .. من تمسك بالقرآن...

وأبى الغلام أن يذهب مع مجاورى بلده إلى الأزهر .. لكن والده لم يقاوم رغبة عمه الجد وانقطع الطريق إلى المدرسة الحسينية.

وكان الغلام وهو يهيم على وجهه فى شوارع القاهرة - يرى غلمانا بعمائم صغيرة وجبب وقفاطين يغدون ويروحون لكن لا يذهبون إلى

ناحية الأزهر شمال مسكنه بل يتجهون ناحية الجنوب.. وقد عثر أمين في جولاته بمفرده على المدرسة الإلهامية وفيها تلامذة مشايخ [١].

ورأى لكى يستعيد رضا الجد والوالد وليحقق إرادتهما ويرضى نزعتهما أن يجمع بين الدراسة المدنية والعمامة فاتجه من تلقاء نفسه إلى المدرسة الإلهامية واستقبل من ناظرها استقبالا حسنا بعد اطلاعه على معلوماته... ولكن للأسف كانت المدرسة في حالة تصفية تنتهى بعدها إلى مدرسة ثانوية مدنية...

لكن الفتى لم ييأس فاتجه إلى منطقة السيوفية حيث شارع (قره قول المنشية) وبه (مدرسة عثمان باشا ماهر) [٢] مبنى فخم معد أجمل إعداد ومزودة بفناء واسع كبير، وفصول منظمة، وفيها مكتبة حافلة.. وكتب (استمارة التحاق) موقعا في مكان ولى الأمر باسم جده.

وكانت المدرسة تقبل طلابها ممن يحفظون القرآن، ولهم إلمام بالحساب، وأما صاحبنا أمين فاجتاز أختبارا شفويا بتفوق، فقد تعلم في الرياضة حساب المائة والربح البسيط والمركب والنسبة والمساحات

---

(١) مجلة الأدب - مرجع سبق - ديسمبر سنة ١٩٦٤ م.

(٢) قمت اليوم الأثنين ٧ شوال سنة ١٤١٦هـ ٢٦ فبراير سنة١٩٩٦م وقبل تسليم هذا الملخص للمطبعة بزيارة عمل لدار المحفوظات للبحث عن كل جديد لم ينشر بعد عن الأستاذ الشيخ امين الخولى.. ثم عرجت على (مدرسة عثمان باشا ماهر) وهى الآن معهد عثمان ماهر الثانوى الأزهرى للبحث ايضا عن كل ما يمت بصلة إلى الشيخ الخولى.. ووعدنا الشيخ محمد غازى شيخ المعهد أن يقدم لنا كل مساعدة ممكنة من سجلات ووثائق.. إذا عثروا على شىء من ذلك (الباحث).

والحجوم، وفى الإملاء والعلوم قدرا كان يدرس فى حينه لأمثاله بكتاتيب الأزهر..

بالإضافة إلى ماشغل نفسه به من القصص الشعبية التى كانت تباع بقروش زهيدة يوفرها من الملاليم التى تجتمع فى يده آخر الأسبوع.

وأما معارفه الواسعة وأسلوبه الرفيع ومستواه فى الامتحان قد أهلته لدخول السنة الرابعة حيث كانت الدراسة بها خمس سنوات، لكنه طلب دخول السنة الثالثة ليكون له الحق فى دخول مدرسة القضاء الشرعى التى كانت تشترط أن يقضى الطالب فى هذه المدرسة أو فى الأزهر (ثلاث سنين) لكن الناظر رفض أن يعدل به عن السنة الرابعة إلى السنة الثالثة.

دروسه فى مدرسة عثمان ماهر:

درس الشيخ أمين الخولى فى النحو الكتابين الثالث والرابع لحفنى ناصف وحمزة فتح الله، وفى البلاغة درس خلاصة متن التلخيص لزكريا الأنصارى، وقدرا من التاريخ والجغرافيا على خرائط إنجليزية...

وأخيرا أعطته مدرسة المرحوم عثمان باشا ماهر شهادة تقول:

«تشهد مدرسة عثمان باشا ماهر بأن التلميذ أمين إبراهيم الخولى أمضى ثلاث سنوات بصفته طالبا متعلما، وأنه لم يسبق الحكم عليه بأمر يخل بالشرف».

الشيخ امين الخولي في مدرسة القضاء الشرعي(١):

درس الشيخ امين الخولي في هذه المدرسة التي كفلت لطلابها صورة مميزة عن الصورة الأزهرية فخرجت للمجتمع قضاة يجمعون بين المعارف الدينية الصحيحة والمعارف الدنيوية، كان لهم فضل كبير على الأجيال التي تعاقبت على مصر وعملت في سلك القضاء.

كان طلاب المدرسة أكثر من أربعمائة طالب يعيشون إعاشة كاملة داخلها يأكلون ويشربون ويلبسون وينامون ويتقاضون مرتبات شهرية (في صورة مكافئات) وليس عليهم إلا طلب العلم في فصول الدراسة والمكتبة العامرة.

ناظر المدرسة:

وكان للمدرسة ناظر هو عاطف بركات باشا القوى الشخصية الجم النشاط الواسع المعرفة الشديد الإخلاص وجد فيه الطلاب الأب الرحيم والرائد الذي يعدهم دعائم قوية لوطنهم.

(١) هي مؤسسة تعليمية وتثقيفية أندثرت رغم أهميتها الكبيرة حتى لم يعد يعرف عنها من جيلنا الحالي ولا حتى من المتخصصين سوى النذر اليسير والتي كان أنشأوها فتحا لباب التطور العلمي المعتدل بعيدا عن الغلو والتطرف... كانت خطوة موفقة حققت ما كان ينتظر منها من تحسين أحوال المحاكم الشرعية على وجه يتلائم مع ظروف العصر ومقتضياته حيث خرجت أجيالا من القضاة الشرعيين والكتبة والمحامين كان لهم الفضل الأكبر في التأثير على نظام القضاء المصري... أنشئت سنة ١٩٠٧ واستمرت إلى سنة ١٩٣٠م. لكن قيامة الأزهريون قامت ولم تقعد إلا بعد أن ضمت إلى الأزهر دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعي، ثم ألغيت مدرسة القضاء ورفع الشيخ المراغي لافتتها بيده (راجع د/ مجاهد توفيق الجندي من تاريخ الأزهر ومدرسة القضاء إلى عهد الإمام المراغي مجلة الأزهر عدد شعبان سنة ١٤٠٩هـ مارس ١٩٨٩م ص ٩٠٤، ١٩٠٤، ٩١٢٧ وعدد شوال سنة ١٤٠٩هـ مايو ١٩٨٩م ص ١١٢٤، ١١٣٨ـ دكتور عبد المنعم الجميعي: مدرسة القضاء الشرعي، ط أولى سنة ١٩٨٦م، توزيع مكتبة الخانجي ص ٥٩.

كان يراقب سلوكهم ويشترك فى حل مشكلاتهم ويبصرهم بواجباتهم، كان يثير بينهم موضوعات للبحث، ويقترح مجالات للنشاط، ويعمل مسابقات فى القراءة الصيفية ويجزى بمكافئات سخية.

يقول عنه الشيخ أمين الخولى: عرفته صديقا للحق، يناضل عنه بكل ما أوتى من قوة لا يبالى من يكون خصمه مهما عظم، حتى لقد عادى فى ذلك من كانت تحنى الرءوس إجلالا لإشارته، وطوعا لأمره... يسلط علينا نفسه فيصهرنا، ويصبنا فى قوالب تتخذ أشكالا هى تقليد لشكله[1].

أساتذة الشيخ أمين الخولى فى مدرسة القضاء الشرعى:

اختار سعد زغلول وعاطف بركات ناظر المدرسة لها خيرة المدرسين من كل نوع من أنواع التعليم، كما استعان بخبرة علماء الأزهر من هيئة كبار العلماء، ليدرسوا العلوم الدينية.. لذلك كنا نرى فيها مزيجا من الأساتذة، هذا شيخ أزهرى تربى تربية أزهرية بحتة، دنياه كلها فى الأزهر وما حوله، أستاذ للتاريخ على طراز آخر تخرج فى جامعات انجلترا، وآخر للطبيعة تخرج فى أشهر جامعات فرنسا، وعلى رأسهم ناظر تعلم فى الأزهر وفى دار العلوم وفى انجلترا، وكل من هؤلاء يلون طلبته بلونه، ويصبغهم بصبغته ويعلمهم على منهجه[2].

---

(١) مجلة القضاء الشرعى / عدد ١٢ ذو الحجة سنة ١٣٤١ هـ.

(٢) دكتور كامل سعفان: أمين الخولى سلسلة أعلام العرب عدد ١٠٣ الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٢ ص ١٥.

وكان من أساتذته الإمام الأكبر الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر الشريف [1]، الشيخ محمد بخيت المطيعى [2] مفتى الديار المصرية والشيخ أحمد الحملاوى [3] والشيخ محمد راشد والشيخ أحمد نصر، والشيخ عبدالغنى محمود، والشيخ محمد عبدالمطلب والشيخ عبدالوهاب خير الدين والشيخ محمد الخضرى والشيخ حسين لبيب.

والشيخ عبدالسلام على منصور البحيرى والشيخ أحمد أمين إبراهيم.. وغيرهم كثيرون كالشيخ محمد سليمان والشيخ عبدالجليل عشوب [4]، الأساتذة أحمد طلعت، محمد أفندى مصطفى ومحمود عزت أفندى، حسن منصور، ومحمد أفندى توفيق سليمان، محمد على سالم وأحمد على، وعبدالحكيم محمد، محمود حمدى رضوان [5].

نشاط الشيخ أمين الخولى فى مدرسة القضاء الشرعى:

كان الشيخ أمين الخولى من الحيوية والنشاط بمكان، فقد بز أقرانه، وسبق زملاءه وتفوق عليهم فقد مارس فيما بين سنتى ١٩١٥ ـ ١٩١٧ ـ ألوانا من النشاط الأدبى والسياسي... حيث تكونت بالمدرسة جمعية «إخوان الصفا» من مجموعة أصدقاء سادهم الحب والتفاهم وهم:

---

(١) ينسب إلى محلة بشر إحدى قرى مركز شبرا خيت محافظة البحيرة مالكى المذهب قضى حياته فى خدمة الإسلام، وحل محله فى مشيخة الأزهر الشيخ أبو الفضل الجيزاوى.

(٢) ينسب إلى قرية المطيعة أحدى قرى محافظة أسيوط.

(٣) ينسب إلى إحدى قرى مركز بلبيس محافظة الشرقية.

(٤) ينسب إلى كفر ربيع أحد قرى مركز تلا محافظة المنوفية وهو بيت علم كبير.

(٥) راجع محضر لجنة إدارة مدرسة القضاء الشرعى بتاريخ ١٨ يناير سنة ١٩١٤م فى محاضر وقرارات المجلس الأعلى للأزهر سنة ١٩١٤ ص٣٠

عبدالوهاب عزام، ومحمود أبو بكر حسن، ومحمد أمين السمالوطى [1]، ومحمد عبدالرحمن الجديلى، وحلمى خاطر، وطه نجاتى، وأمين الخولى. وأخذوا أنفسهم بتعلم اللغات الأجنبية في مدرسة فرنسية بباب اللوق، وشغلوا أنفسهم بالمسائل الأدبية والفنية واكتسبوا الخبرات الكثيرة والمعارف المتنوعة من طريق التبادل الفكري والمناقشات الحرة...

وكانوا يجتمعون أسبوعيا فى منزل واحد منهم في ندوة تمتد من الغذاء إلى المساء...

بالإضافة إلى أن الأستاذ الخولي كان خلال مدة الطلب بالمدرسة كان على اتصال دائم بمكتبة (عم حسنين الكتبي) بدرب الجماميز هي أشبه بالقبو، تضاء بذبالة واهنة... فكان يصحب إليها صديقه السنهورى [2] بعد نهاية اليوم الدراسى، ينقب فيها ويبتاع بأى ثمن ولا يبالى مادام في جيبه نقودا حيث يوفرها له جده وخاله... كما كان زبونا «عميلا» لكتبي متجول، كان يحمل أسفاره إلى المدرسة في وقت (الفسحة).

ولقد بلغ من شدة حبه وشغفه للقراءة والإطلاع أن يكتب على حجرته فى بيت جده (هنا دواء النفوس) وتقول الدكتورة عائشة عبدالرحمن أنه كان يطلق على حجرة المكتبة في منزله (المعبد).

---

(١) ينسب إلى «سمالوط» أحد مراكز محافظة المنيا. (الباحث).

(٢) ينسب إلى «سنهور المدينة» إحدى قرى مركز دسوق غربية سابقا وحاليا كفر الشيخ (الباحث).

الشيخ أمين الخولى الفقيه النبيه:

تعددت مواهب الأستاذ الخولى فى الكتابة والتأليف فى أسلوب شيق أخاذ، لكنه لم يؤلف كثيرا من الكتب[1] لانشغاله بتربية النشء فى مجلة الأدب وعلى صفحاتها منذ سنة ١٩٥٦ بعد إحالته إلى التقاعد.

ولو استطاع باحث أن يتناول هذه المجلة بالدراسة[2] لاستطاع من خلال تتبعه لاهتمام المجلة بالناشئة فى البريد الأدبى، وفى التعقيبات على ما يصلها من الشعر والقصة والدراسات أن يقدم لنا منهجا صحيحا للتقويم والتقييم، منبعثا عن نفس شفة غنية رحبة...

ورغم أنه كان يحصل على الجائزة الأولى أو الثانية فى نهاية امتحان آخر العام الدراسى[3] فى مادة الفقه (ستة جنيهات، وجنيهان) - فإنه لم يؤلف فى الفقه كتابة نصية ولكنه تناول كتب الفقه من ناحية أخرى لم يسبقه فقيه إليها.. حيث تناول العبادات وحكمة مشروعيتها والمعاملات وغيرها من أبواب الفقه بأسلوب فلسفى منطقى أدبى يأخذ

---

(١) مؤلفاته: ١ - مالك بن أنس ٣ أجزاء، ٢ - من هدى القرآن (القادة.. الرسل) ٣ - من هدى القرآن فى أموالهم ٤ - الجندية والسلم واقع ومثال ٥ - صلة الإسلام بإصلاح المسيحية ٦ - من هدى القرآن فى رمضان ٧ - المجددون فى الإسلام وهى من الأعمال الكاملة له والتى طبعتها الهيئة العامة للكتاب وهى تحت يدى ولم أر غيرها للآن.

(٢) تناولها أحد أساتذة كلية اللغة العربية بالقاهرة فى رسالة دكتوراه فى معهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية ولم أطلع عليها بعد (فى حديث لى مع أستاذنا الدكتور محمد رجب البيومى أعطانى هذه المعلومة جزاه الله خيرا).

(٣) راجع محاضر جلسات المجلس الأعلى للأزهر سنة ١٩١٣، ص ٢٢٨، وسنلحق بالبحث صورة من ذلك (الباحث)، راجع كذلك محاضر جلسات المجلس الأعلى للأزهر سنة ١٩١٤، ص ٢٣٧ وسنلحق بالبحث صورة من ذلك إن شاء الله (الباحث).

بالألباب ـ مبينا أثرها فى إصلاح الأمة الإسلامية أفرادا وجماعات[١] وسنفصل بعض الشيء نماذج من مؤلفاته تدل على اجتهاده في صلب البحث بحول الله.

لغة الشيخ أمين الخولى فى مؤلفاته وكتاباته:

يرى الشيخ أمين الخولى أن اللغة العربية كأية لغة حية هى كائن حى، يأخذ ويعطى، والألفاظ التى تدخل إلى اللغة تتمثلها وتصبح جزءاً منها.. .اللغة العربية لغة قديمة.. لغة ثرية، اللفظ فيها يمكن أن تكون له دلالة حقيقية ودلالة مجازية، ويمكن أن يكون له معنى «وظل معنى» هذا تعبير الأستاذ والخولى رحمه الله ـ ظل المعنى، وأية لغة فى العالم، ولا سيما لغة كلغتنا العربية تكتسب بالاستعمالات المجازية، الاستعمالات المعاصرة ثروة مادامت لم تبعد عن الأصالة [٢].

---

(١) وفى حديث لى مع فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر عن فقه الشيخ أمين الخولى ـ وكان معه الأستاذ الدكتور أحمد حافظ أستاذ طب العظام وهو مهتم بالشيخ الخولى أيضا وكذلك المستشار محمد بدر يوسف المنياوى (النائب العام السابق ـ قال فضيلة الإمام كنا ونحن طلابا صغارا فى الأزهر نقرأ للشيخ أمين الخولى كان له أسلوب جذاب خلط فيه الفقه بالفلسفة والأدب ويغلب عليه المنطق والفلسفة وهو ما نسميه فى عصرنا هذا «بالاجتهاد» وقد داعبنى فضيلته في لطف قائلا: بعد أن تفرس فى وجهى وهيأتى أنت يا شيخ مجاهد تشبه الشيخ أمين الخولى فى شكله وهيئته، وضحكنا سويا وانصرفت بمعلومات كثيرة زودنى بها فضيلة الإمام يوم الأحد (٢٥ ـ ٢ ـ ١٩٩٦م).

وفى حديث لى مع الشيخ عبدالفتاح الزيات مدير شئون الدعوة الإسلامية قال: إن للشيخ أمين الخولى اجتهاد فى الفقه لكنه كان يميل يسارا... وقد حدث خلاف بينه وبين عمى أحمد حسن الزيات بسبب هذا جعله لا ينشر له شيئا فى مجلة الرسالة (الباحث).

(٢) دكتور أحمد عبدالستار الجوارى: اللغة العربية كائن حى ص ٢٣ مجلة إحياء التراث العربى الإسلامى بغداد السنة الأولى عدد ٣ سنة ١٩٧٧ .

والأستاذ أمين الخولى الذى تخرج من القسم العالى بمدرسة القضاء الشرعى سنة ١٩٢٠ أستطاع بلغته الجميلة أن يفلسف الفقه الإسلامى ويجتهد فيه... كما فلسف كتب الأخلاق القديمة وصاغها فى ثوب قشيب جذاب [١] والحديث ذو شجون.. ولكننا نختم هذه العجالة ونفصل فى صلب البحث ما أحببنا إن شاء الله.

وفاة الأستاذ أمين الخولى:

جاهد الأستاذ طيلة حياته لينير لأمته الطريق، هذا الفلاح الأصيل الذى جاء من ريف المنوفية إلى القاهرة ما فتئ يقطف من كل بستان زهرة ليخرجها للناس شرابا مختلفا ألوانه فيه شفاء للناس، كانت عاطفته التربوية ونزعته التعليمية ورده على بريد القراء شغله الشاغل ولولا هذا لقدم للمكتبة العربية أضعاف أضعاف ما قدم.. حمل شيخوخته فوق طاقتها وأجهد نفسه أشد الإجهاد حتى سقط فى الميدان.. كتب للناس من فيض حبه، ومن يره يحسبه أبعد الرجال عن العياء، وهو ينوء بأعباء، وأعباء من داخل جسمه وخارجه...

وترجع معرفتى به سنة ١٩٥٨ م فى المركز الثقافى بطنطا فى مناطرة له مع زوجه الدكتور عائشة عبدالرحمن وهوبزى المشايخ وهى بالزى القصير.. وهو يجادلها فى لباسها وهى ترد عليه فى جلسة سعد بها الناس من الحضور ومن يومها تعلقت به. وأسلم الشيخ الوديعة لبارئها بعد ظهر يوم الأربعاء التاسع من مارس سنة ١٩٦٦م عن واحد وسبعين عاما، ولما يجف القلم عن آخر ما كتب للخلود، رحمه الله برحمته الواسعة وأسكنه فراديس الجنان.

---

(١) دكتور حامد شعبان: أمين الخولى والبحث اللغوى ـ القاهرة ـ الأنجلو المصرية ١٩٨٠ ص ٧.

الأدب المصرى
(بعد أمين الخولى)
وتراثنا الثقافى

أ.د. محمد زغلول سلام

ظل الأدب المصرى أو أدب مصر الإسلامية مهملاً حتى دعا أمين الخولى إلى الاهتمام به فى اطار الدعوة إلى المصرية التى سادت سنوات مطلع هذا القرن فى مرحلة النضال ضد الاستعمار الانجليزى ومحاولة الحصول على الاستقلال . وحمل لواء الدعوة إلى الأدب المصرى جماعة من أساتذة الأدب بجامعة القاهرة بفضل توجيه أمين الخولى نذكر منهم الدكتور عبد اللطيف حمزة والدكتور محمد كامل حسين وواصل حمل الراية الدكتور حسين نصار وبعض طلابه إلى الآن.

لم يكن التوجه للأدب فى عصور مصر الاسلامية مجرد حماس وطنى ولادعوة قومية كما يتبادر إلى ذهن بعض الناس. ذلك أن عطاء

مصر الفكرى والثقافى عامة فضلا عن عطائها الأدبى كان جزلاً، وافراً، وكانت له خصائصه وميزاته ورجاله المشهورون فى كل مجال من مجالات الفكر والفن والأدب أولئك الذى عاشت وتعيش إلى الآن على عطائهم أجيال وأجيال.

ومن هنا نستطيع القول بلا تردد أن الاهتمام بالأدب المصرى ورجاله أصبح ضرورة حضارية، ووطنية وثقافية، للتعرف على كنوز ثقافية أختفت،وراء سحف الأيام، وكادت تندثر معالمها لولا أن هيأ الله لها رجالاً يحرصون على تأصيل الأنتماء وتمكين الهوية حتى لا يذهب بنا الريح كل مذهب فى عصر تتصارع فيها الأهواء والتوجهات.

إن دراستنا للأدب المصرى بمعطياته الفكرية والفنية أكتشاف لذاتنا، وتعرف على جذور وارتها السنون لكثير من القيم والعقائد والسلوكيات التى تعيش بيننا الآن ولا ندرى ما هى ومن أين جاءتنا وكيف انحدرت الينا عبر السنين.

ودراستنا لهذا الأدب تعرف على أنفسنا، وتثبيت لولائنا المصرى، واعتزاز بما قدم هذا الانسان الذى عاش على أرض مصر وشرب ماء النيل فأثمر هذه الحضارات المتعاقبة على مدى عصور التاريخ وطوال خمسة آلاف عام شارك فيها المصرى فى عصر الفراعنة، وعصر البطالمة والرومان، فى العصر المسيحى والعصر الإسلامى، وترك هذه الشواهد الشاخصة بيننا من آثار أنطقت شوقى بقوله:

وبنينا فلم نخلّ لبـــــان

وعلونا فلم يجـــزنا عـــلاء

لقد أعطت مصر الإسلامية طوال عشرة قرون متتابعة عطاء جزلاً فى كل جوانب الحضارة وكان الأدب شريكاً ومعبراً، وسجلاً لهذا العطاء

وشاهداً عليه، فاهتمامنا بالأدب المصرى تأكيد لهذا العطاء، أدب الفاطميين صورة نابضة حية تواكب آثارهم الباقية من بناء وفنون وعادات وتقاليد وسلوكيات لازالت تحيى بيننا، فإذا ما وقفنا فى رحبة الأزهر، أو بجامع الحاكم، شاهدنا سور القاهرة، أو سرنا فى شارِع المعز تذكرنا الأمجاد القديمة، وإذا ما قرأنا معها أدبهم زدنا تعرفاً عليهم، وتمثلت لنا هذه الآثار حية وليست مجرد صروح جوامد.

وكذلك الحال فى عصور الأيوبيين والمماليك نقف بمدارسهم العريقة بمساجد الظاهر والمنصور قلاوون، والناصر محمد ومدرسة الناصر حسن والقلعة الشامخة التى صارت رمزاً للقاهرة، فلابد وأن نعى معها ما خلفوه من الأدب وما تحدثوا فيه عن أنفسهم وعن هذه الصروح، وعن عظمة ما تركوا لنا من فكر وفن حىّ نابض يطلق الروح فى تلك الصروح.

لقد سادت فكرة ظالمة عند بعض الدارسين والباحثين عن هذا الأدب، فاتهموه بالتخلف والضعف، واتهموا عصور الأيوبيين والمماليك بعصور الظلام والانحطاط وكان مبعث تلك الفكرة الظالمة إمّا جهل صاحبها أو عمده التقليل من شأنها لظروف عدة تداخلت فيها عوامل خارجية وداخلية، سياسية ودينية.

ونسى أصحاب الفكرة الظالمة أن هذه العصور المصرية الإسلامية كانت عصور أمجاد حقيقية لمصر والعروبة والإسلام فيها تحقق لمصر أكبر دولة إسلامية عاصمتها القاهرة سادت بقوتها العسكرية والسياسية والاقتصادية هذه المنطقة زمناً وحملت عبء الجهاد ضدّ القوى الخارجية العاتية التى عصفت بمقدرات الشرق الإسلامى زمناً،

وأوهنت قواه، وذهبت بدولته فى بغداد وبقيت القاهرة تقاوم وتجمع الشمل وتلمّ الشتات الموزع من آثار الحضارات الإسلامية فى المشرق والمغرب لتعيد صياغتها من جديد، ولتخفظها للأجيال التالية.

لقد كان أدب المرحلة صورة للصراع الرهيب من أجل البقاء، وتمسكا بالأصالة والقيم الموروثة، ومحاولة لتنميتها وتطويرها.

لقد كان أدب مصر الإسلامية صورة لهذا الامتزاج المتوارث لحضارة الإسلام فى المشرق والمغرب بعد أن آلت كلها إلى القاهرة ومصر. وفى هذا العصر أعيد بناء الصرح وكان للمصريين ومن لاذ بهم من أدباء المشرق والمغرب فضل هذا البناء الذى استعانوا فيه بموروثهم حتى لا تغيب عنهم جذوره وأصوله، إلا أنهم أضافوا وطوروا فى كل جانب من جوانبه، لقد كان أدب مصر إسلامياً عربياً.

لا ننكر أنه قد تداخلت فى إعادة بناء التراث موروثات عدة من سالف أمم قديمة من عقائد وأساطير وخرافات تداخلت فى شئون العقيدة والفكر، كما انعكست بوضوح فى الأدب المنثور والمنظوم.

وتسللت آثار هذا كله إلى فكرنا المعاصر وكأنه مسلمات، ودورنا فى دراسة أدب مصر الإسلامية نفى الخبث والابقاء على المعدن الأصيل، وإظهاره فى كل جانب من جوانبه لنستمد منه لبنات بناء شخصيتنا المصرية فى مواجهة العصر بكل تحدياته. ولنضيف إلى الشخصية العربية الإسلامية ملامح جديدة مشرقة صالحة للتعايش مع العصر بمعطياته المتغيرة، ولتمكن لثقافتنا أن تساير الواقع والمستقبل، ولا تتجنبه وتنفر منه، لقد استطاعت مصر بوسطيتها أن تحتوى جميع التيارات فى الحضارة الإسلامية عبر عصورها الطويلة قروناً متتابعة.

لقد أدى هذا الاحتواء إلى ظهور كثير من الموسوعات فى شتى العلوم فى الدين والتاريخ والأدب، ولم تقتصر على المعرفة أو العلوم الإقليمية بل مدت مصر جناحيها لتضم فى تلك الموسوعات علوم المشارقة والمغاربة وفى مزيج متجانس عجيب.

فلولا مصر الإسلامية وجهود أبنائها ما كان بين أيدينا الآن لسان العرب لابن منظور، وصبح الأعشى للقلقشندى، والمسالك أو مسالك الأبصار لابن فضل الله العمرى، ونهاية الأرب للنويرى، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى، وبدائع الزهور لابن إياس، وحسن المحاضرة للسيوطى، والخطط، والسلوك، والمقفى للمقريزى.

لقد أضاف المصريون ومن لاذ بهم، وانطوى تحت دولتهم أو أقام بينهم جديدا إلى فنون الأدب نثره ونظمه، وابدعوا طرائق جديدة فى فنون التعبير، وكان القاضى الفاضل رائداً لفن من الكتابة مزج فيه بين تقنية الشعر والنثر، وتابعه كتاب مصر، فأضافوا إلى طريقته ونوّعوا وفرّعوا.

واستحدثت فى الشعر أشكال جديدة أضيفت إلى القصيدة التقليدية كما أخترعت أوزان وإيقاعات أضيفت إلى المنظوم تعدّت المخمسات والمسمطات والموشحات. وظهرت المقطوعات الشعرية وشاع استخدامها فى التعبير عن تجارب سريعة، أو ومضات وجدانية، وكان لها نظامها، فلم تكن مجرد أبيات محدوده مقتصرة أو مبتسرة. وظهرت الرباعية أو الدوبيت بإيقاعها المشرقى الفارسى الذى وفد من المشرق وشاع استعماله عند شعراء الفرس، وظهر الموشح الدويتى، وصاحبته ألوان من الموشح تعددت أشكالها واضاف إليها الوشاحون من الاجتهادات كثيرا،

وأصبح ديوان الموشحات المصرية ينافس موشحات الأندلس والمغرب، ونظم فيه معظم شعراء مصر من ظافر الحداد فى القرن الخامس إلى ابن نباته فى القرن الثامن.

هذا فى الأدب الفصيح أو كتب باللغة الفصحى أما ما كتب بالعامية فحدث ولا حرج من ملاحم وقصص، ومنظومات بين موال وزجل وبليق وزكالش مما تعمر به مكتبة العصر وتراثه الغزير.

الاجتهاد فى النحو العربى

أ.د. محمد عونى عبد الرءوف

قدم الأستاذ أمين الخولى فى دراستين رأيه فى الاجتهاد فى النحو العربى ومحاولة منهجية لكيفية الاجتهاد محاولة منه لتيسير القواعد النحوية ليتمكن الدراس والتلميذ من تفهمها والإبانة عن نفسه بلغة سليمة دون أن يلحن أو يعجز عن استخدام القاعدة النحوية.

ولعل من الأفضل أن نبدأ بعرض ما جاء بالبحث الذى أرسله إلى مؤتمر المستشرقين الدولى الثانى والعشرين المنعقد باستنبول فى سبتمبر سنة ١٩٥١ وإن جاء بعد محاضرته التى ألقاها بالجمعية الجغرافية الملكية سنة ١٩٤٣، إذ أنه فى هذه الدراسة يبين الأسس التى أعتمد عليها فى دراسته المنهجية للاجتهاد فى النحو العربى.

ويبدأ الأستاذ أمين الخولى دراسته المرسلة إلى مؤتمر المستشرقين ببيان ما تعرضت له العربية على مدى العصور فى الأقطار المختلفة من العاميات موضحا أن النحو يشكل دائما مصدرا للصعوبات التى تجهد الصغار وتحرج الكبار حين يحاولون استعمال الفصحى. وينطلق من هذه إلى ضرورية «الاجتهاد فى النحو» وأن يكون الاجتهاد اجتهاد المتأنى الذى لا يضيق بالقديم وهو يحرص فى هذا على أنصاف النحويين القدماء ووجوب وضع التراث النحوى فى الدرجة التى يقف عليها زمنه من سلم الرقى العقلى، واعتبار تأثره بالروح الهيلينية المسيطرة على التناطق الذى نشأ وتما فيها، ومن ثم يتبين الأثر المنطقى فى فهم النحاة للغة وأسلوب تفكيرهم فى نحو.

وينطلق من هذا العرض إلى الحديث عن حال اللغة فى العصر الحاضر، وضرورة استكمال دراستنا بالجديد من علم اللغة العام، ومن فروعه الخاصة، بحيث نضع دراستنا اللغوية على درجة السلم التى تقف فيها الحياة اليوم. وهذا يقتضى التخلى التام عن التعليل النحوى، فى أى لون من ألوانه النظرية، وترك ما خلفته اللغوية المنطقية من صيغ إعرابية تلقينية. وكذلك يقتضى تصحيح المنهج النحوى الاجتهاد بمعنييه اللغوى والاصطلاحى، مبينا أن الاجتهاد بمعناه اللغوى يقتضى تأصيل الدراسة اللغوية العلمية واستكمالها والاعتماد عليها وحدها فى فهم خصائص العربية، وأن الاجتهاد بمعناه الأصولى الاصطلاحى ضرورى بعد الإيمان بعدم سلامة المنهج القديم، وبعد الجد فى الظفر بالتعليل التفسيرى، أو الاجتماعى أو العملى للظواهر الصرفية، والنحوية، فى العربية، ويرى أن جمع القدماء للثروة اللغوية ناقص، يحتاج إلى استكمال قدر الطاقة الإنسانية، والاجتهاد الحر النظر فى الاستفادة مما عسى أن تصل إليه الأيدى من تلك الثروة، باستقراء دقيق، ويقتضى

هذا الاستكمال الاجتهاد بمعينية، أى الجد الدارس لما يقدم من جديد الثروة اللغوية، ويطالب به أصل العربية والنظر الحر فيما تؤثر به الدراسة الجديدة، على المقررات اللغوية والنحوية القديمة وهو ما يرجوه من جماعة المستشرقين الذين يعرض عليهم دراسته بمؤتمرهم.

وتشتمل هذه الدراسة على أهم الأسس المنهجية التى اتبعها فى اجتهاده لتيسير النحو فى المحاضرة التى ألقاها فى الجمعية الجغرافية الملكية سنة ١٩٤٣ .

١ - وهو يقدم للبحث بالحديث عن النقاط التى يتكون منها والتى تصل إلى أربع عشرة نقطة تنتظمها محاور خمسة يبدأها بالتمهيد لفكرة شرعية الاجتهاد فى التجديد مطلقا، فيبين أن الفكرة تعد حينا ما كافرة تحرم وتحارب، ثم تصبح من الزمن مذهبا، بل عقيدة واصطلاحا، تخطو به الحياة خطوة إلى الأمام.

٢ - ثم يعقد مقارنة بين النحو والفقه بعد أن يبين ازدواجية اللغة (الفصحى والعامية) ومحاولة التوفيق بينهما، وضرورة الأخذ بخطة معتدلة محافظة، تقيم نظرها فى مسألة النحو على ما يتكشف لها من تقدير لأصوله البعيدة، التى أقام النحاة عليها قواعده. ويبين فى هذه النقطة كيف أن أصول اللغة محمولة على أصول الشريعة.

٣ - وينتقل إلى الحديث عن اللغة والشريعة فى الحياة موضحا أن اللغة أشد المظاهر المبوية لينا، وأقلها تصلبا وتحجرا، وأطوعها للتطور، وأن حظها فى صلتها بالحياة أقوى من حظ الشريعة، نصيبها من ذلك أوفر وأظهر، ومن ثم يحق أن نحاول تطويع اللغة للحياة.

٤ ـ ويستطرد فى هذه النقطة عن نقاط الدراسة إلى الحديث عن صنيع أصحاب الفقه اليوم من تغيير التشريع فى الأحوال الشخصية، وأن أهم ما أتخذ فى ذلك صنيع لجنة الأحوال الشخصية التى مضت عليها أعوام تباشر عملها، وقد أخرجت منه ما أصدرته الحكومة قانونا ـ بعدما أقره البرلمان ـ وهيأت قدراً أخر للإصدار.

وينتقل إلى المحور الثانى عن كيفية التيسير:

٥ ـ إذ ينتقل إلى الحديث عن دستور شرعى للتجديد النحوى، فينادى باتباع ما أخذ به علماء الفقه من جمع كل ماورد بالكتب الفقهية وغيرها ككتب التفسير والسنة، وعدم التقيد بمذهب واحد وتحيز أكثرالأقوال ملائمة للمصلحة العامة. ومن ثم يجمع كل ما يوجد من المذاهب النحوية ولا يتقيد بمذهب نحوى واحد فى مسألة بعينها أو بالأفصح أو الأرجح أو الأصح. وأن يتخذ منها ما يوافق حاجة الأمة، ويساير رقيها الاجتماعى.

٦ ـ ويبين فى هذه النقطة أن التجديد يجب أن يكون فى اعتدال جامد، حيث يلتزم فيه بأصول النحو.

٧ ـ وهو فى هذا الألتزام بأصول النحو يراعى حياتنا اللغوية وصراع العربية مع غيرها من اللغات ومحاولات تذليل صعوبة تعلمها واستعمالها مع النهضة الشرقية الحديثة من أيام محمد على ومحاولة على باشا مبارك إنشاء مدرسة خاصة تعد معلمين للغة ثم محاولات تيسير النحو وإحيائه.

وفى المحور الثالث يتحدث عن محاولات التيسير السابقة:

٨ ـ بالحديث عن المحاولة السادسة التى جاءت بها اللجنة مشكلة بقرار وزارى من د. طه حسين وأحمد أمين، وعلى الجارم، ومحمد أبو بكر ابراهيم، وإبراهيم مصطفى. وأقر للجنة أنها تمثلت حاجة الأمة اللغوية تمثلا واضحا، وأنها اهتمت بالعامل الاجتماعى الذى يزيد من صعوبة تعلم اللغة. وأنها قررت ألا ينتهى حب التيسير إلى أن نمس من قريب أو بعيد أصلا من أصول اللغة، أو شكلا من أشكالها واستعرض اقتراحات اللجنة التى تتلخص فى:

أ ـ الاستغناء عن الاعراب التقدير والاعراب المحلى.

ب ـ عد التمييز بين علامات اعراب اصلية وأخرى فرعية.

جـ ـ وأن يكون لكل حركة لقب واحد من الاعراب والبناء.

د ـ وضبط الجملة باصنافها تحت تقيم واحد ينتظم الفعلية والاسمية والجملة الصغيرة والكبيرة.

هـ ـ وتسمية طرفى الجملة المحدث عنه والحديث (وما إلى ذلك من اقتراحات بناءة نذكرها بالدراسة).

وفى المحور الرابع يتحدث عن كيفية معالجته للتيسر:

٩ ـ ويبدأ الحديث عن الصعوبات اللغوية اليوم فيبين أهمية العامل الاجتماعى فى تخفيف هذه الصعوبات أو فى زيادتها أحيانا. ويناقش هنا رأى لجنة التيسير مبينا أن هدفه من التيسير هدف عملى قريب. وأخذ على اللجنة أنها اهتمت بتيسير صعوبة النحو فى القواعد، وفى المعلمين، تاركة الحياة الواقعية وأثرها فى ذلك

كله، وأنها لو نظرت إلى المشكلة من حيث صلتها بالحياة لرأت غير ذلك لأننا:

أ- نعيش بلغة غير معربة.

ب- وأن العامية أصبحت تستخدم فى الصحافة والمسرح.

ج- وأن الفصحى المعربة لا يسهل ضبطها بقاعدة.

د- وأن الكلمة الواحدة أو التعبير الواحد يجوز فيه النصب والجر أو الرفع والنصب والجر.

١٠- ثم يقدم تدبيراً لحل هذه الصعوبات، فيقرر أن عقدة الاعراب لا يمكن حلها،وإن كان يمكن أن تكون اللغة أقل عقدا فى اضطراب الاعراب، وفى اضطراب القواعد قدر ما تستطيع أن تسعفنا به الأصول النحوية.

١١- ويقدم الأصل لهذا التدبير الذى يتلخص فى ترك النحاة وأراءهم وقواعدهم، والرجوع إلى ما وراء ذلك من أصولهم التى استخرجوا منها هذه القواعد، وترجيح أوجه من منقول اللغويين ومروييهم فى اللغة تدفع بها هذه الصعوبات، وتقلل التعدد فى أوجه الأعراب، وتغنى المتعلم عن بذل جهد عنيف، ملاحظين فى الاختيار:

أ- تقليل الاستثناء واضطراب الاعراب.

ب- وأختبار ما هو بسبب من لغة الحياة والاستعمال.

١٢- ويقم أمثلة لاضراب الاعراب:

أ- فى الأسماء الخمسة أو الستة.

ب ـ والمثنى وما على صورته.

ج ـ وجمع المذكر السالم على صورته.

د ـ والجمع بألف وتاء.

هـ ـ وما ينصرف.

و ـ والاسم المنقوص واختلاف اعرابه بظهور النصب على يائه، وعدم ظهور حركة الاعراب فى الجر والرفع.

ويقدم اقتراحات لمحاولة التخلص من هذا الاضطراب.

١٣ ـ ثم يتعرض لاضطراب القواعد ويقدم أمثلة لهذا الاضطراب:

أ ـ لم قد لا تجزم جملا على «ما» و«لا».

ب ـ أدوات الاستثناء تكون حينا اسماء، حينا أفعالا، وحينا حروفا.

ويقرر أن المفروض محاولة الاحتفاظ باطراد القواعد ما أمكن، واختيار ما هو أيسر اعرابا أو أقرب فهما أو أكثر رواجا فى حياتنا اللغوية الحاضرة.

وينهى الدراسة بالمحور الخامس الذى يرد فيه على المعترضين.

١٤ ـ مبينا أن ما جاء به من اقتراحات يقع فى دائرة الاعتدال الجامد حيث إنه يلتزم بأصول النحاة التى دونوها والتزموا بها.

١٥ ـ وأن الاعتراضات عليها «شبه واهية».

أ ـ إذ أن كل قراءة للقرآن الكريم حجة، فلم يبق إلا أن يكون فيما نستعمله من اللغة ما هو غير الذى نقرؤه فى قطر من الأقطار. ولا

بأس بهذا لأن هذا الاختلاف واقع بين ما نتعلم اليوم من القواعد وبين قراءات القرآن.

ب - أن التلاميذ حين يدرسون نصا أدبيا قديما، يمكن أن نقرأ لهم النقد الأدبى بتلك الأوجه الميسرة، أو الموحدة فى الاعراب.

ج - وأن المتكلمين بالعربية اليوم فى الأقطار المختلفة، قد فرقت بينهم منذ مطلع شمس الاسلام، عاميات مختلفة، فهم إن لم يأخذوا بما أخذنا به فى مصر من هذه الأوجه فسيكون قولنا كقراءات القرآن المختلفة، أو كالذى يسمعونه كل حين من اللحن.

ونلاحظ فى هذا كله صلة الأستاذ القوية بالدراسات اللغوية الحديثة، وتمكنه من ربط التراث بهذه الدراسات، والقدرة على الافادة من دراسته الفقهية بالدراسة النحوية، والإيمان بأهمية اعتبار العامل الاجتماعى وأثره فى تعلم اللغة العربية.

وإن كان الأستاذ لم يفرق بين اللغتين المنطوقة والمدونة، ولم يبين أى المستويات اللغوية التى يمكن أن تخضع لهذه المقترحات. ولعل فى محاولتنا لمناقشة ذلك ومقارنته بما قدمه بعض الأساتذة الذين تصدوا لهذه المشكلة يفيد فى العرض والإيضاح.

أمين الخولى
من الأدب المصرى
إلى الأدب الشعبى

أ. د. محمود ذهنى

سمعنا به قبل أن نراه، فمنذ أن وطئت أقدامنا ساحة كلية الآداب - جامعة فؤاد الأول (القاهرة الآن)، ملتحقين بقسم اللغة العربية حتى سرت إلى أسماعنا أنباء عن استاذ فظيع، يرهق طلابه فى قاعة الدرس، ويشقيهم فى الأمتحان التحريرى، ويبكيهم فى الأمتحان الشفوى.

ثم رأيناه عن بعد، شخصا مميزا متفردا عن الجميع، يمشى بخطوات قوية واثقة بيه المميز.. جبة وعمة وقفطان ، على وجهه جد وإصرار ولكنه بعيد عن الجهامة، وفى عينيه بريق صارم، يسير وحوله كوكبة من الطلاب يسعون وراءه سعى التابعين،يحمل احيانا فى يده مسبحة سوداء، يمسك بها دون أن يحركها، وحين ينطق تسرى كلماته

مسرى الطلقات في صوت جهورى حاسم، وحين يقف على عتبات الكلية يتكأكأ حوله كثيرون، ثم ينصرف إلى سيارته التى لا تقل عنه تميزا لأنها ليست كباقي السيارات، فهي مستطيلة غير مكورة، وجسدها خشبى بنى اللون، يودها سائق نوبى، ويقودها هو فى بعض الأحيان.

استمر هذا الحال عامين كاملين، نرى ونسمع دون أن نجرأ على الاقتراب، ونختزن المعلومات والذكريات حتى يحين الحين، فالاستاذ الشيخ لا يحاضر للفرقتين الأولى والثانية، وتبدأ دروسه للفرقة الثالثة بمادة «الأدب المصرى». وهنا بدأ اللقاء وجرت المواجهة التى من خلالها تكشفت لى شخصية استاذى العظيم، وتوثقت علاقتى به، ومن خلال تجربتى الشخصية معه - التى أوردت تفاصيلها فى المقال المطول - استطيع الحديث عنه، وأدعى معرفتى باتجاهات ميوله وأفكاره.

ليس من شك فى أن شيخنا أمين الخولى يقف على قمة رواد النهضة الأدبية الحديثة، سواء بالنسبة لبلورة أفكارها وإتجاهات دراستها، أو بالنسبة لمدرسته الأدبية التى قدمت قادة الحركة الثقافية المعاصرة فى شتى مجالاتها من أمثال صلاح عبد الصبور وعبد الرحمن فهمى فى الإبداع الشعرى والقصصى، وعبد القادر القط وشكرى عياد فى النقد، وعبد الحميد يونس وفاروق خورشيد فى الدراسات الأدبية، وعشرات وعشرات من الأسماء البارزة التى ملأت الساحة الأدبية.

وقد كان لى شرف الانتساب إلى هذه المدرسة، وملازمة رائدها حتى أذن الله بفراق، ومن خلال هذه الصحبة الطويلة استطيع القول بأن فكر أمين الخولى وعلاقته بالأدب مرّت بثلاث مراحل:

أولها ما يمكن أن نطلق عليه اسم «مرحلة الارهاص» وهى المرحلة التى استطاع فيها النابهون من أدبائنا وعلمائنا أن يكشفوا ألاعيب الاستعمار الثقافى وما قام به من طمس معالم ماضى حضارتنا، وتزييف وقائع أدبنا، وإحالة حياتنا بدعاوى هدامة مثل مناداته باستخدام العامية بدلا من الفصحى، أو استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية، أو جعل الدراسة بالمدارس باللغة الانجليزية، أو فرض منهج العصور التاريخية على دراسة الأدب العربى.

أكتشف شيخنا أمين الخولى هذه الحملة الاستعمارية مبكرا، وتصدى لها بكل عنف، فكان أول من رفض منهج العصور التاريخية الذى يجعل أدبنا كله مجرد مديح للخلفاء، وهجاء ومجون وعبث شعراء، ويبعده عن مجالته الحقيقية التى تعبر عن وجدان الشعب، ونادى بمنهج بحثى جديد، يدرس الأدب فى بيئته وبين قومه وأهله، فكان «المنهج البيئى أو اقليمية الأدب» الذى دعى إليه أمين الخولى أحد المداخل الأساسية إلى النهضة الأدبية.

وجاءت المرحلة الثانية كتطبيق عملى لهذا المذهب، ومن البديهى أن تكون مصر هى أول اختيارات أمين الخولى، وأن يكون اعتزازه العارم بمصريته من أكبر العوامل الدافعة لذلك، فكثف جهوده فى هذا المجال، وقدّم على الساحة فرعا جديدا فى الدراسات الأدبية هو «الأدب المصرى» الذى وجد طريقه إلى مدرجات الجامعة، وجذب إليه الكثير من الدارسين والباحثين.

ومن خلال البحث المتعمق فى الأدب المصرى أكتشف شيخنا كنوزا مطمورة تحت ركام التخلف الذى ران على الأمة العربية قرونا عديدة، والاستعمار الذى عمل على اخفائه وطمس معالمه وتشويه صورته،

فهناك سير شعبية تضاهى ملاحم اليونان، وحكايات فنية ألهمت المغرب الأوربى ابداعاته القصصية، فكانت المرحلة الثالثه التى عشق فيها استاذنا هذا الأدب الشعبى ودفع بتلاميذه إلى البحث عنه والتخصص فيه، فكان لهذه الدعوة صداها سواء فى آروقة الجامعة وخارجها، فصار مادة من مواد الدراسة الأكاديمية، وتهافت عليه الدارسون والباحثون.

هذه محاولة متواضعة، حاولت فيها كشف العلاقة بين الآستاذ أمين الخولى وكل من الأدب المصرى والأدب الشعبى، استخلصتها من علاقتى الشخصية به، تلك العلاقة التى غيرت مجرى حياتى عدة مرات، بدافع استاذيته التى تتمثل فى قدرته الفائقة على جذب التلاميذ والمريدين والحواريين، واحتضانه لهم، وحدبه عليهم حدب الأب الحنون، والشيخ المعلم والرائد القدوة، ومن واقع قدرة بيانه التى جعلته يخوض معاركه بلسانه فلا يجد وقتا كافيا للتدوين وتأليف الكتب، ويؤثر أبناءه على نفسه فيدفعهم دفعا للتقدم طبقا لنظريته الرياضية الشهيرة:

ت = أ + ز (التلميذ = الآستاذ + الزمن)، وبفهم ناضج للثورة الثقافية التى شعارها «أول الجديد قتل القديم بحثا»، وبقدوة جعلت كلا منا يحاول تقليد الاستاذ فى خصلة من خصاله، أو يحصل على قدرة من قدراته، وكلنا يسير على دربه، ويهتدى بهديه.

رحم الله شيخنا العظيم، وجزاه خير الجزاء، عنا وعما أسداه لحياتنا الثقافية والأدبية، والله ندعو أن نكون امتداداً له، نؤدى بعض ما أداه، وننجز جزءاً مما أنجز، ونحقق بعض رجائه فينا. والله الموفق والمستعان.

أمين الخولى
وكتابة التراجم
قراءة فى كتاب «مالك بن أنس»

أ . د . محمود على مكى

إذا كان الإمام محمد عبده (١٨٤٩ - ١٩٠٥) هو الذى حمل رسالة تجديد الفكر الدينى خلال أواخر القرن الماضى فإن أمين الخولى هو الذى واصل بعده الكفاح من أجل السير قدما بهذا التجديد خلال النصف الأول من هذا القرن. وقد كان مفهوم الخولى للتجديد ينطلق من «قتل القديم فهماً وبحثاً ودراسة»، وذلك فِي مواجهة مفهوم من كانوا يدعون إلى نبذ القديم والإعراض عنه، بل هدمه وتدميره، وهو ما كان الخولى يدعوه «تبديداً لا تجديداً».

من هذا المنطلق كانت جهود الخولى فى سائر جوانب الفكر التراثى: فى تفسير القرآن، وفى الدراسات اللغوية ، وفى الأدب ونقده، وفى جماليات البلاغة اتى تحولت على يده إلى «فن القول» وغير ذلك مما عنِى الخولى بدراسته وتدريسه على مدى عقود متوالية فى الجامعة.

وفى إطار هذه النظرة التى تقوم على أن الماضى ركيزة للحاضر وأن ما هو صالح من تراثنا القديم ينبغى أن يكون منطلقنا للتكيف مع إيقاع الحضارة الحديثة ـ كان اهتمام الخولى بتتبع سير أعلام فكرنا الدينى من السلف، ممن تركوا فى هذا الفكر بصمات باقية. وكانت شخصية الإمام مالك بن أنس (٩٠ ـ ١٧٩هـ) هى التى استوقفت اهتمام الخولى فأفرد لترجمته كتابه الذى يُعَدُّ أكبر كتبه والذى يتمثل فيه منهجه فى دراسة التراث.

والترجمة عند الخولى صنف من الدرس التاريخى، ولكنها تتميز بأنها الدرس المتفهم للأشخاص الذين هم العقل العالم والوجدان المتفنن والنزوع الدافع للحياة، فهم التاريخ الحى، إذ إن أولئك الأشخاص يصوغون التاريخ بأيديهم، «فالتاريخ كيفما فهمته يكتب بالتراجم ولن يكتب بدون التراجم».

والنموذج الذى قدمه الخولى فى ترجمته لمالك بن أنس يعد فريداً فى بابه، وهو يختلف أختلافاً كبيراً عما كان شائعاً فى ذلك الوقت من كتابة السير. وقد بدأ الخولى فيه ـ كما كان عمله فى سائر دراساته التجديدية ـ بتحرير المنهج، واقتضى ذلك منه أن يحدد المراحل التى ينبغى أن يمر بها العمل فى كتابة الترجمة، وهى أربع: الجمع المستعصى لمواد الموضوع، ثم النقد الفاحص لها، ويلى ذلك التفسير المبين لمرامى المرويات الكاشف عن دلالاتها، وأخيراً العرض المعبر عن ذلك التفسير فى صورة مجلوة مضيئة. ويفيض الخولى فى بيان مواصفات كل مرحلة من هذه المراحل والطريقة التى ينبغى أن تتبع فى إنجازها. ثم يختم تصوره لكتابة الترجمة بقوله إن هدفه من تقديم

هذا النموذج هو أن ينفى عن الترجمة أن تكون زخرف قول وزينة لفظ وإطلاق حكم أو أنها سلوة جماهير ودعاة سِوَّاس أو تلهية ناس بغرائب أحداث، وذكريات مناقب وخوارق، وتلفيق قصّاص. فالترجمة عمل له جلاله لأنها - كما قيل - «دقة علم وما أشق، فى قوة فن وما أرق».

ويحاول البحث أن يوضح مدى التزام الخولى فى التطبيق بالمبادىء والأسس النظرية التى أقام عليها مفهومه للترجمة، وذلك من خلال النظر فى فصول الكتاب.

وبمناسبة الحديث عن منهج الخولى فى كتابه الترجمة لابد أن نشير إلى المعركة الأدبية التى نشبت بينه وبين علم آخر من أعلامنا الرواد وهو عباس محمود العقاد صاحب «العبقريات» الذى سلك فى معالجته لسير من درسهم منهجاً آخر مختلفاً، ومن هنا كان من المتعين المقارنة بين الأسس الفكرية التى أنطلق منها كل منهما فى عمله.

وينتهى البحث بتقويم لكتاب أمين الخولى عن الإمام مالك وبيان مكانه من المؤلفات المماثلة فى أيامه.

أمين الخولى

مؤصلا للتفسير الأدبى للقرآن

أ. د. مصطفى الصاوى الجوينى

موقف الشيخ أمين من التراث:

لخصته: عبارته (أول التجديد قتل القديم فهما) وقصد ـ كما شرح هو إلى القتل المادى والمعنوى معاً وإذن يكون من حق أستاذى على أن أقدم لمنهجه فى التفسير الأدبى بمهاد تاريخى بدؤه مع نزول القرآن يفسره الرسول بالحديث، والحديث قمة فى الأداء العربى البليغ. ثم تروى دواوين الحديث وترجمات سير الصحابة روايات فى التفسير تبين عن إحساس بجمال الشكل أو روعة المضمون.

ويبرز من بين الصحابة فتى العصر الإسلامى الأول ـ إبن عباس ـ فيروى إبن جرير الطبرى عن سامع لتفسير ابن عباس (وددت لو قبلت رأسك من حلاوة تفسيرك) وتعد محاولة أبو عبيدة معمر بن المثنى فى

بدايات القرن الثالث أول محاولة جريئة وجادة على طريق التفسير الأدبى، إذ نراه ينحى المرويات النقلية ويفسر اللفظة القرآنية المفردة، أو الأسلوب القرآنى بعرضهما على الشعر ليخلص إلى أن اللفظة القرآنية عربية الدلالة والبناء وإلى أن التعبير القرآنى صياغة عربية وأثار هذا المنهج فى تفسير القرآن بالإحتكام إلى الشعر دوياً هائلاً بين معاصرى أبى عبيدة من مفسرين ولغويين محافظين. وتتسع دائرة هذا المنهج الأدبى فى منتصف القرن الثالث الهجرى على يد الجاحظ الذى كان يرى أن الأدب هو الأخذ من كل ثقافة بطرف، وتمثل كتبه ورسائله تحقيقا عمليا لهذا المفهوم - ولهذا نجد ألوان من التفسير القرآنى منها الأدبى الخالص، والموضوعى والكلامى واللغوى، والعلمى والاجتماعى، والنفسى نجد نماذج منها فى البحث المفصل وفى القرن السادس الهجرى يطبق الزمخشرى فكرة عبد القاهر الجرجانى فى إعجاز القرآن بنظمه على نصوص القرآن كلها مديرا ذلك على محورى علم المعانى والبيان ويشهد القرن السابع فى مشرق العالم الإسلامى تطور فكرة النظم عند فخر الدين الرازى لتصبح بحثا عن الوحدة الموضوعية فى السور ذات الأغراض المتعددة، وفى مغرب العالم الإسلامى فى الشام ومصر، نجد إبن النقيب - أستاذ أبى حيان الاندلسى - يضع تفسيراً نسبت مقدمته إلى ابن قيم الجوزية باسم (كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن) ويثبت دكتور زكريا سعيد بدار العلوم أن هذا الكتاب هو المقدمة البيانية لتفسير إبن النقيب وفيها يلمح إبن النقيب فى القرآن أغراضا أدبية مما يلتمس فى الإبداع الأدبى شعرا ونثرا فيه المديح والهجاء، والغزل والفخر، والشكوى والعتاب والرثاء والهجاء وغير ذلك من أغراض. ثم فى مصر والشام تتبلور فكرة الوحدة

الموضوعية عند البقاعى فى مؤلفيه (نظم الدرر فى مناسبات الآيات والسور) و(مصاعد النظر بالإشراف على مقاصد السور). ويرين ظلام يضيئه واحد من رواد التنوير فى العصر الحديث الشيخ الإمام محمد عبده، ويلح على أن القرآن مقصده أولا وأخيرا هو هداية البشر بالتنوير العقلى والتربية الخلقية، والنظر فى الكون، والتماس المعارف، على أن تكون البداية النظرة الأسلوبية البلاغية للقرآن، وتفسير اللفظة القرآنية بمعان عرفت لها وقت نزول القرآن وكشف عن منهجه هذا نظريا فى مقدمة تفسيره للفاتحة وطبقه عملياً عملا فى تفسيره للفاتحة وجزء عم وما سجله عنه رشيد رضا فى تفسير المنار ويقوم تفسير محمد عبده على ركنين أساسيين.

أولهما: التفسير الموضوعى

ثانيهما: الهدف الاجتماعى

وفى مصرنا المعاصرة يقوم أمين الخولى الأستاذ بكلية الآداب - جامعة القاهرة بإستقطار ما فى التراث الإسلامى من مناهج فيؤصل لمنهج تفسير القرآن تفسيراً أدبياً ينظر فيه إلى القرآن على أنه كتاب العربية الأكبر، هو نص أدبى حوله معارف تضيئه وفيه معالجات مع مفرداته، تستقرأ دلالاتها من القرآن كله، ومركباته تستجلى بإستخلاص جماليات نظمه من صياغة القرآن جميعه، والقاعدة التى يرتكن إليها هذا المنهج هو التفسير الموضوعى الذى يتابع موضوعا بعينه فى القرآن كله ويتضمن هذا المنهج كلا التفسيرين النفسى والاجتماعى ونجد تطبيقات هذا المنهج على يد الشيخ أمين نفسه فى (من هدى القرآن) و(فى أموالهم) على أن هذا المنهج تباعدت فيه

المسافات شرحا وتلقيا بينما التزمت بنت الشاطىء بحرفية منهج الأستاذ أمين لكنها عدلت عن تسمية (التفسير الأدبى) إلى (التفسير البيانى) (فى جزئين) فى تفسيرها لقصار السور وأكدت ذلك فى مؤلفها (الإعجاز البيانى فى القرآن الكريم)، أما الدكتور مصطفى ناصف فقد ناقش تفصيلا هذا المنهج فى الفصل الأخير من كتابه (نظرية المعنى) وخلص إلى أن التفسير الأدبى يستوعب كل الألوان المعرفية وأن على المفسر أن يكون مؤهلاً بثقافة فلسفية تواجه تيارات العصر الفكرية، وبسلوك صوفى معدل يصبح به فاعلا فى الكون لا فانيا فيه وكان من تطبيقات منهج الشيخ أمين الأدبى المبكرة موضوع للماجستير للأستاذ الدكتور شكرى عياد بعنوان (وصف الطبيعة فى القرآن) ثم دراسة للدكتوراه أثارت ضجة فى وقتها بعنوان (الفن القصصى فى القرآن الكريم) وكانت الحساسية من قول دكتور محمد أحمد خلف الله صاحب الدراسة أن هدف القصة القرآنية (بالقيمة الفنية) لا (الواقعية التاريخية). وتابع منهج الشيخ محمد عبده بيئات أخرى مثل الأزهر وأعلامه مصطفى المراغى ومحمد محمود حجازى وعبدالله دراز ومحمود شلتوت ومحمد البهى. وفى البيئة الأدبية العامة محمد قطب فى دراسات موضوعية للقرآن، وسيد قطب فى مؤلفاته (التصوير الفنى فى القرآن الكريم) ومشاهد من القيامة، وفى ظلال القرآن. وهذا المنهج الأدبى فى تفسير القرآن ترفده منذ قديم مصادر البلاغة لكن نتوقف فى القرن السابع عند ابن الأثير فى مبحثه عن حل آيات القرآن الكريم وتوظيفها أدبيا فى رسائله. وفى الحديث ما صاغه أحمد بهجت فى مؤلفه عن (قصص الحيوان فى القرآن)، ونسجه من ثلاث خيوط: الدين، العلم، الفن، وكذلك محاولة التقديم الأدبى لتفسير القرطبى والتى

نهض لها الفنان توفيق الحكيم فى (مختصر تفسير القرطبى) وتخير منها توفيق الحكيم تفاسير لآيات بعينها يمكن توظيفها لخدمة قضايا العصر علمية، وإجتماعية، وأدبية وعنونها بعناوين تخاطب المسلم المعاصر.

تفسير القرآن
بين المفهوم والإجراء
قراءة فى فكر أمين الخولى

أ . د. مصطفى يس السعدنى

يقول أمين الخولى فى مادة «تفسير»: «تلتقى مادتا : فـ س ر، س فـ ر. فى معنى الكشف المعنوى والباطن. والتفعيل منه التفسير ـ كشف المعنى وإبانته». (دائرة المعارف الإسلامية مادة تفسير) .

ولحياة المصطلح فى ذهن الخولى رصيد هائل تشكل معظمه فى مكتبة التراث العربى الاسلامى. ولتحديد مفهومه ـ كمصدر ابيستمولوجى ـ يمكن استرفاده من حقول متنوعة، أبرزها : اللغة ـ البلاغة ـ كلام المفسرين ـ علم القراءات.

وإذا كانت المادة فى المعاجم العربية قد آلت إلى الكشف والإبانة، فإنها قد استخدمت بصيغة «التفعيل» «تفسير» فى القرآن فى قوله تعالى : (ولايأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) الفرقان / ٣٣

بمعنى التوضيح والتبيين. ولا يغير فى الدلالة كما يقول الراغب الاصفهانى «فى قصر السفر على الكشف المادى، والسفر فى الكشف المعنوى».

وإذا كان التفسير فى «البلاغة» أن يستوفى المتكلم شرح ما ابتدأ به مجملا فالتفسير بالجملة كما يرى السلجماس «ليس يقع أبدا إلا جواب سؤال إما بالقوة وأما بالفعل وهو يعنى أن العبارة التى من هذا النوع لايكتمل معناها إلا بفك إبهام الجزء الأول، وبهذا يكون التفسير البلاغى رهين الشرح قصد فك شفرات النص بغرض الإبانة أيضا.

ومادة «تفسير» عند المفسرين قد تمحورت حول بيان معانى القرآن ودلالات الألفاظ فى استخراج الأحكام، وإذا كان التباين قد اخترق هذه التعريفات، فإن السيوطى يرى فى كتابه «التحبير فى علم التفسير» أن أبا حيان أفضل من أصاب ، ولا يغلق هذا الباب حكم عالم سنى على مفهوم سنى مستنير، فقول صاحب البحر المحيط «إن التركيب قد يقتضى بظاهره شيئا ويصد عن الحمل على الظاهر صاد فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على غير الظاهر وهو المجاز» يجعل التفسير مرحلتين: أولاهما: تعنى بظاهر النص، والثانية: تنقل عمل المفسر إلى البنية العميقة للاستفادة من تحولاتها فى تحديد الدلالة.

وبهذا يتشابك كل من التفسير» و«التأويل»، إذ التفسير فيما يقول أبو طالب الثعلبى هو « بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً .. والتأويل تفسير باطن اللفظ».

وإذا كان قد ساد ـ كما يلخص كل من الراغب الاصفهانى وأبونصر القشيرى أن التفسير هو ما يتعلق بالرواية ، و«التأويل» هو مايتعلق

بالدراية فإن طرق التفسير على المستوى البياني ـ كما يرى أمين الخولي ـ لم تحدث نقلة ابيسمثولوجية لمفهوم التغاير فى الفهم بل هى رهين الالتزام بالقرينة وكما لخص الحافظ أبو الخير الدمشقى المشهور بابن الجزرى القراءة الصحيحة فى كتابه الهام «النشر فى القراءات العشر» بأنها «كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها» فإن كثرة اللجج التى أوهمت بأن ثمة فرقا بين المصطلحين (تفسير ـ تأويل) إنما يرجع إلى تباين طرق التفسير وأختلاف مناهج التفكير وتنوع الثقافات فى بيئة المفسرين أنفسهم.

والخلاصة: أن المصطلحات الثلاثة (تفسير ـ تأويل ـ قراءة) كانت تتم بوسيط وتثبت بقرينة.

وأياما كانت المفارق بين المصطلحات الثلاثة، فإن الاعتداد بعملية القراءة لا يتم إلا بنجاعة الفعل القرائى أو كما يقول جابر عصفور: «إن كل قراءة هى عملية تفسير أو تأويل وكل عملية تفسير أو تأويل هى قراءة فى الوقت نفسه، وكلتاهما عملية أداء المعنى أو إنتاجه بوصفه محصلة لفهم الموضوع المقروء وتعرفا عليه واكتشافا له، وتحديدا لمغزاه والغاية المرادة منه، على نحو ما تدركها الذات القارئة فى علاقتها بالموضوع المقروء».

والقارئ فى هذه الحالة لن يكون هو «القارىء المثالى» أو «القارىء الفرضى» باعتبارهما لا ينتميان إلى عالم الواقع. بل «القارىء الفعلى» الذى ينجز على مستوى النص الأدبى.

وبهذا يكون أمين الخولى قد استخلص لنفسه مادة - من هذا الركام الهائل - أسس بها طريقا لمفهوم أوسع فى (التفسير - التأويل - القراءة) ينطلق من حيث النظر إلى القرآن باعتباره كتاب العربية الأكبر وأثرها الأدبى الأعظم، وأن دراسته لابد أن تكون أدبيه على أن تتسم الدراسة بصحة المنهج وتكامله واتساقه، وهذا هو مفهوم التفسير فى نظر أمين الخولى وغرضه الذى أسس له.

ودراسة الخولى للمادة «تفسير» تثير من الإشكاليات الكثيرة لعل أبرزها. ما يتعلق يالقرآن كنص أدبى قبل أن يكون له هدف آخر، وكذلك أيضا مايتعلقٍ بمنهج قراءة القرآن كآلية محدثة فى إنتاج الدلالة. وهذا هو ما تحوض الدراسة فيه.

المصطلحات الأساسية في مؤلفات أمين الخولي

أ.د. محمود فهمي حجازي

أهتم أمين الخولي (١٨٥٩ ـ ١٩٦٦) في مؤلفاته بقضية التدقيق في عدد من المصطلحات والتعبيرات من أجل الفهم الصحيح لنصوص التراث العربي من جانب ومن أجل التغيير الدقيق عن فكره التجديدي من الجانب الآخر. وكلا الجانبين مختلف عن الآخر، وإن كانت له أهميته في الجانب الأول يحدد الخولي دلالة مصطلحات وردت في الكتب فكان جهده تحليلا لمادة متاحة بالفعل، وفي الجانب الثاني نجد الخولي يستخدم مصطلحات محددة إيضاحا لفكره. وهي مصطلحات أساسية تتكرر في مؤلفاته لتصبح مفاتيح التعرف على ملامح التجديد عنده.

اهتمام أمين الخولى بمصطلحات واردة فى التراث العربى مع التدقيق فى معناها يرجع إلى اقتناعه بالرأى القائل بأن «نقل المخالف فى المذهب لا يعتد به» وذلك نظرا لاختلاف الدلالة الاصطلاحية الدقيقة بتعدد المذاهب (مالك بن أنس ٥٢). وتظهر عنايته بذلك فى دراسة المصطلحات فى سياق نصوصها وفى سياق ظروفها التاريخية، على نحو جعل كتابه. الجندية والسلم، دراسة معجمية لمصطلحات دلت فى تاريخ اللغة العربية على فرق الجند وترتيبها ومراتبها والعتاد الحربى وأنواع السفن. وهكذا قدم أمين الخولى دراسة دلالية تاريخية فى ضوء النصوص لأكثر من خمسين مصطلحا منها: الرماح، القسى، المنجنيق،. البارود، المدافع، القدور، الدروع، الترس، الدرقة، المجن، السباهية، الثغر، الشوانى، البوارج، القراقير، الباسيليقيات، التوابيت، اللجام، العراضات وغير ذلك. وهذه الدراسة من شأنها أن تكون توجيها منهجيا لبحث ألفاظ الحضارة بصفة عامة والألفاظ الدالة على الحياة الثقافية والمؤسسات فى تاريخ اللغة العربية. وبهذا تتكون لبنات أساسية فى المعجم التاريخى لمصطلحات وألفاظ الحضارة فى اللغة العربية.

ويظهر أهتمام الخولى بالدلالة الاصطلاحية وبالتغير الدلالى لكلمات محددة ذات دلالات علمية خاصة، وفى مقدمتها الفقه والرأى والعلاقة بينهما فى الفقه الاسلامى (مالك ٤٠٠ ـ ٤٠١ ، ٤٢٩ ـ ٤٣١). وبحث هذه المصطلحات جزء مهم من تاريخ العلم وأساس للانطلاق من النصوص من أجل التجديد، وتتجاوز دراسة الخولى لنصوص الترا ث العربى الألفاظ المفردة إلى العبارات الثابتة التى تتكرر بشكل يجعلها أشبه بالمصطلحات المركبة ومنها: لا ينبغى، لا يصلح، لا خير فيه، لا

أرى به بأسا (مالك ٤١٢ ـ ٤١٥) وهذه الدراسات المعجمية والمصطلحية إسهام فى تاريخ العربية يقوم على فهم النصوص.

ومن الجانب الآخر تنتظم فى مؤلفات أمين الخولى مصطلحات أساسية منها: الأصول، والاصطلاح، التجديد، والتطور، والسلام، وهذه المصطلحات فى مجموعها تحدد الإطار العام للفكر التجديدى عند أمين الخولى. مصطلح الأصول يرتبط عنده فى أكثر المواضع بعلم أصول الفقه من جانب وبأصول الدين الاعتقادية أو أصول المقالات الإسلامية من الجانب الآخر (مالك ١٢٦، والمجددون ٣٤). وفى هذا السياق يفصل أمين الخولى أصل الاعتقاد ويجعله فى أربعة أصول: الإيمان والتوبة، والتدين والاعتقاد، حرية العقل، حرية الإرادة الإنسانية. وفى سياق آخر ينسب إلى كلمة الأصول ويجعلها مرتبطة بالفقه وبعلم أصول الفقه، يذكر: الأحكام بالمعنى الأصولى (المجددون ٥٠) وفى خارج السياق الدينى نجد استخدام مصطلح الأصول بشكل محدود، يذكر الأصل الاجتماعى (مالك ١٢٥) بمعنى الأساس الاجتماعى. وهكذا دار مصطلح الأصول فى إطار الثقافة العربية الاسلامية بصفة عامة وفى النسق الفقهى والعقيدى على وجه الخصوص.

أما مصطلح الإصلاح فورد بشكل أساسى دالا على حركة الإصلاح الدينى فى المسيحية فى نسق الكنائس الأوروبية، وهنا نجد عبارات، مثل: إصلاح المسيحية وحركة الاصلاح والاصلاح البروتستانتى والبيئات الاصلاحية المسيحية (صلة الاسلام ١٨، ٦١، ٧١، ٧٧). ولكن هذا المصطلح يتجاوز فى فكر أمين الخولى سياقه التاريخى ليصبح دالا على حركة الاصلاح الدينى فى المجتمعات الاسلامية

بصفة عامة. وقد استخدمه أيضا فى سياق حركة التجديد الدينى فى المجتمعات العربية الإسلامية. ذكر الاصلاح الدينى فى مصر على يد جمال الدين الأفغانى وكتب عن الاصلاح الدينى العصرى والاصلاح الثائر (المجددون ٢٣، ٧٨). كما استخدم كذلك كلمة الاصلاح بمعنى آخر يتجاوز المجال الدينى إلى مجالات الحياة المختلفة فى الماضى والحاضر، من ذلك: مناضلة الفساد بالاصلاح (من هدى القرآن ٩٤)، وكتب عن محاولة إصلاحية كبرى (الجندية والسلم ١٩٩). وفى السياق العربى الإسلامى كتب - أيضا - عن الإصلاح المالى والإصلاح الاجتماعي (من هدى القرآن ١٢٢)، والإصلاح اللغوى (مشكلات حياتنا اللغوية ٥ - ٦). وهكذا أخذ أمين الخولى يستخدم كلمة الإصلاح من مجالها الدينى المسيحى والإسلامى إلى مجالات الحياة كلها، وهكذاأصبح مصطلح الإصلاح ذا دلالة أكثر شمولا، يستوعب جوانب كثيرة فى حياتنا تتجاوز السياق التاريخى لظهور المصطلح الأوربى الدال على هذا المفهوم.

أما مصطلح التجديد فيعد من أكثر المصطلحات استخداما فى مؤلفات أمين الخولى للتعبير عما ينشده المجتمع من نهضة تقوم على أسس نابعة منه، وتنشد تجديد الحياة، نجد فى كتاب الخولى بعنوان: المجددون فى الإسلام، عبارات كثيرة تتضمن هذه الكلمة منها: التجديد للدين، وتجديد الدين، والتجديد الدينى، وفكرة التجديد (المجددون٥ ، ٦، ٧، ٩، ١١، ٣٨). وفى هذا السياق هناك ضرورة لوجود من يقوم بالتجديد، نراه يذكر: المجدد والمجددين فى مجالات مختلفة (١٥، ١٦). ومن هذا الجانب يعد التجديد ضرورة حياة، وهو اتجاه عملى وثورة إجتماعية وتجديد الدين منصب إجتماعى عملى (١٤).

والتجديد يشتمل على كل مجالات الحياة، ولهذا ثمة ضرورة - أيضا - للتجديد فى النحو والبلاغة والتفسير والأدب.

مصطلح التطور من أهم المصطلحات فى فكر أمين الخولى ويرتبط فى سياقات كثيرة بمفهوم التجديد، كتب أمين الخولى عن التجديد والتطور (المجددون ٣١، ٣٢)، وناقش التطور الإسلامى (٣٩) وأسس وتطور الدين (٤٩) والتطور المحتوم (٤٢) وأسس التطور فى الإسلام (٤٠) والأسس الميسرة لتطور الإسلام (٤٦) وتطور الدين (٥١) والتطور فى العقائد (٥٢) وتطور العبادات (٥٧) وتطور المعاملات (٦١) والتطور الاعتقادى (١٣١). والتجديد التطورى (٣٧). وهذا كله على المستوى غير الفردى، أما فى حياة الأمام الواحد فقد كتب الخولى عن التغيير التطورى (المجددون ٣٥). وهنا نلاحظ أن مفهومى التجديد والتطور يحملان فى فكر الخولى دلالة إيجابية فى سياقات استخدام المصطلحين. أما الاتجاهات المخالفة والمبادىء الهدامة المخالفة فلا توصف عنده بمصطلح التجديد أو التطور. وكلا المصطلحين يمثل مصدرا من مصادر فكر الخولى، مصطلح التجديد من رافد تراثى عربى إسلامى. أما مفهوم التطور فهو من رافد أوربى. وكلا المفهومين مع المصطلحين الدالين عليهما يشكلان فى فكر أمين الخولى نسقا متكاملا.

إن التقدم هادف إلى تحقيق سعادة الإنسان، والمصطلح الأساسى عند الخولى فى هذا السياق هو السلم أو السلام فى حياة الفرد وفى علاقات المجتمعات الأساسية. وهنا نجد السلام النفسى وسلام النفس (الجندية والسلم ٢٢، ١٨٨، ١٩٢)، السلام العالمى (صلة الإسلام ١٧)،

و: طموح الإنسانية والسلم (الجندية٩) . وفى هذا كله فإ ن أفضل الطرق لتحقيق السلام الاجتماعى والعالمى إنما تتحقق فى مصر من خلال القوة والإنجاز والتقدم.

إن هذه المصطلحات بأصولها اللغوية والتاريخية المختلفة تشكل ملامح فكر أمين الخولى فى التجديد، وهو عمل يقوم على: الأصول، التجديد والتطور، معتمدا على التراث العربى من جانب والخبرات الأوربية من الجانب الآخر. إن جمع هذه المصطلحات من مؤلفات أمين الخولى وغيره من المفكرين فى العالم العربى الحديث وتحليل دلالاتها فى سياقاتا تعد مساهمة مهمة فى التاريخ اللغوى للعربية وتاريخ تكون المفاهيم الموجهة لحياتنا الثقافية.

أمين الخولى
ورسالة التطور والتجديد فى الفكر الدينى

أ. د. يمنى طريف الخولى

كان للشيخ أمين الخولى دور ريادى فى تجديد الفكر الدينى واصل به رسالة الإمام محمد عبده وكان شعاره فى هذه الرسالة أن أول التجديد هو قتل القديم فهما وبحثا ودراسة، أما إذا تقدم المجدد لعمله بجهالة للماضى وغفلة عنه فإن ذلك سوف يكون تبديداً لا تجديداً. وقد انشغل كلا الإمامين محمد عبده وأمين الخولى بقضية إصلاح الأزهر الشريف ورسالته فى القرن العشرين ودخلا فى صراع مع شيوخه المتعنتين الرافضين لكل إصلاح وفى النهاية أخفقا فى محاولتهما فتوفى محمد عبده دون أن يبلغ ما كان يؤمل، وأما أمين الخولى فقد علق آماله فى إصلاح التعليم على الجامعة المصرية الوليدة آنذاك. ولم يدرس أمين الخولى فى الأزهر وإنما فى مدرسة القضاء الشرعى وبعد تخرجه درّس فى الأزهر ومما يذكر أنه كان أول من درس الفلسفة

رسميا فى الأزهر سنة ١٩٣٤، وقد جمعت هذه الدرس فى محاضراته غير المنشورة التى جمعها فى ثلاث مجموعات «كتاب الخير» و«تاريخ الملل والنحل» و«كناش فى الفلسفة وتاريخها». وكان جهده فى إصلاح الفكر الدينى فى الإسلام يقوم على «عقلنة الإسلام وتحديثه» وفى هذا الاتجاه ألف بحثه «صلة الإسلام بإصلاح المسيحة» الذى ألقاه فى مؤتمر تاريخ الأديان الدولى المنعقد فى بروكسل فى سبتمبر سنة ١٩٣٥ وفيه يطور فكرة الإمام محمد عبده التى كانت تنادى بأن الإصلاح الدينى فى أوربا قد اقتبست الكثير من الإسلام.

وخاض أمين الخولى معركة الجدل حول نظرية النشوء والتطور منذ أن نادى بها داروين (ت ١٨٨٢) وله فى ذلك بحث ضاف بين فيه أصول نظرية التطور فى الفكر البشرى عند الإغريق ثم عند الإسلاميين: إخوان الصفا وابن سينا وابن طفيل والقزوينى وابن خلدون وبين أن النظرية الحديثة فى صلبها لا تتعارض مع العقيدة الدينية ولا مع الإسلام. وفى هذا السبيل أيضا ألف الخولى كتابه « المجددون فى الإسلام» حاملا رسالة التطور والتجيد فى الفكر الدينى ومنبها إلى أن التجديد تطور والتطور الدينى هو نهاية التجديد الحق، وهو بهذا انطلاق مع الحياة ووفاء بجديد حاجتها. وقد خاض الخولى من أجل ذلك معارك مع السلفيين جامدى الفكر من ناحية ومن ناحية أخرى مع المدرسة العلمية العلمانية التى كانت تهاجم التراث وتعمل على هدمه وهى مدرسة سلامة موسى (ت ١٩٥٨) وشبلى شميل وإسماعيل مظهر.

ومن تجديد الفكر الدينى انتقل الخولى إلى التجديد فى اللغة بفروعها المختلفة من نحو وبلاغة، فهى لاتنفصل أبداً عن الفكر الدينى الإسلامى وذلك بحكم أن أصول النحو قائمة على أصول النحو كما يقرر القدماء. أما البلاغة فهى فن القول وجماله وعلم التفريق بين الجيد والردئ منه، وقد طبق الخولى آراءه فى التطور على اللغة فنفى ما تزعمه التفسيرات الغيبية التى تقول إن العربية قد نزلت من السماء لغة بالغة الكمال، بل أكد أنها تخضع لسائر ما تخضع له اللغات من تطور وتغير بحكم تغير ظروف الحياة.

ويعود الخولى لقضية الفكر الدينى فيقول إن الاجتهاد أساس الحياة الإسلامية لمواجهة التغيرات، ويلاحظ أنه بينما تخوض العقائد البدائية والأديان الأخرى فى تفصيلات غيبية وتوصيفات جزئية لقصة الخلق ووقائع حيوات الرسل فإن الإسلام لم يذكر فى كتابه الكريم شيئا عن نشأة الحياة على سطح الأرض وأطوار الإنسان ولا فى تاريخ الأمم والرسل وإنما يكتفى بالدلالة العامة والدرس الحضارى المستفاد. وهذا يجعل الإسلام مسايراً للتطور فى الحياة وفى العلوم، ويبقى دائماً كما كان فى عهده الذهبى: قوة رافعة للتقدم ورسالة الحياة والعالمية والخلود.

ويقف الخولى وقفات مع مجددى القرون الهجرية الأربعة الأوائل فكراً وعملاً وهم عمر بن عبدالعزيز والإمام الشافعى وابن سريج وأبوسهل الصعلوكى وأبو الحسن الأشعرى والباقلانى مستخلصا من سيرهم وأفعالهم ما أفاد الحياة وجددها، ويؤكد الخولى فى دراساته أن أسلوب الإسلام فى التجديد كان يقوم دائما على «المثالية لا المذهبية» ويكرس لذلك كتابه «فى أموالهم»، ليدحض القول برأسمالية الإسلام

وباشتراكيته على السواء، إذ يرى أن تلك محاولات تلفيقية يجل عنها الإسلام، إذ هو يقدم من الشعور الإنساني والأصل الإجتماعى ما يدع للإنسانية حرية الفكر وحرية الممارسة وحرية التجربة.

ويشير الخولي إلى أن أصالتنا أو بمصطلح أفضل خصوصيتنا الحضارية إنما يتمركز فى صميمها الدين، وكثيراً ما ينبه إلى قوة البعد الديني في الشخصية المصرية، ولهذا فإن تجديد الفكر الديني فى مصر هو بمثابة طوق النجاة من الانسحاق الحضارى والضياع الثقافى فى خضم ما نعانيه الآن من طوفان الانغلاقات التى تتنازعنا ومن خطر التبعية للعرب فى الوقت نفسه.

المحتويات

الصفحة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٦/٤٢٠٨

J.S.B.N- 977 -235 - 551 - 5

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب